الطبعة 7 تُدرس بجامعة ستانفورد بأمريكا

الذكاء

مجموعة قصصية

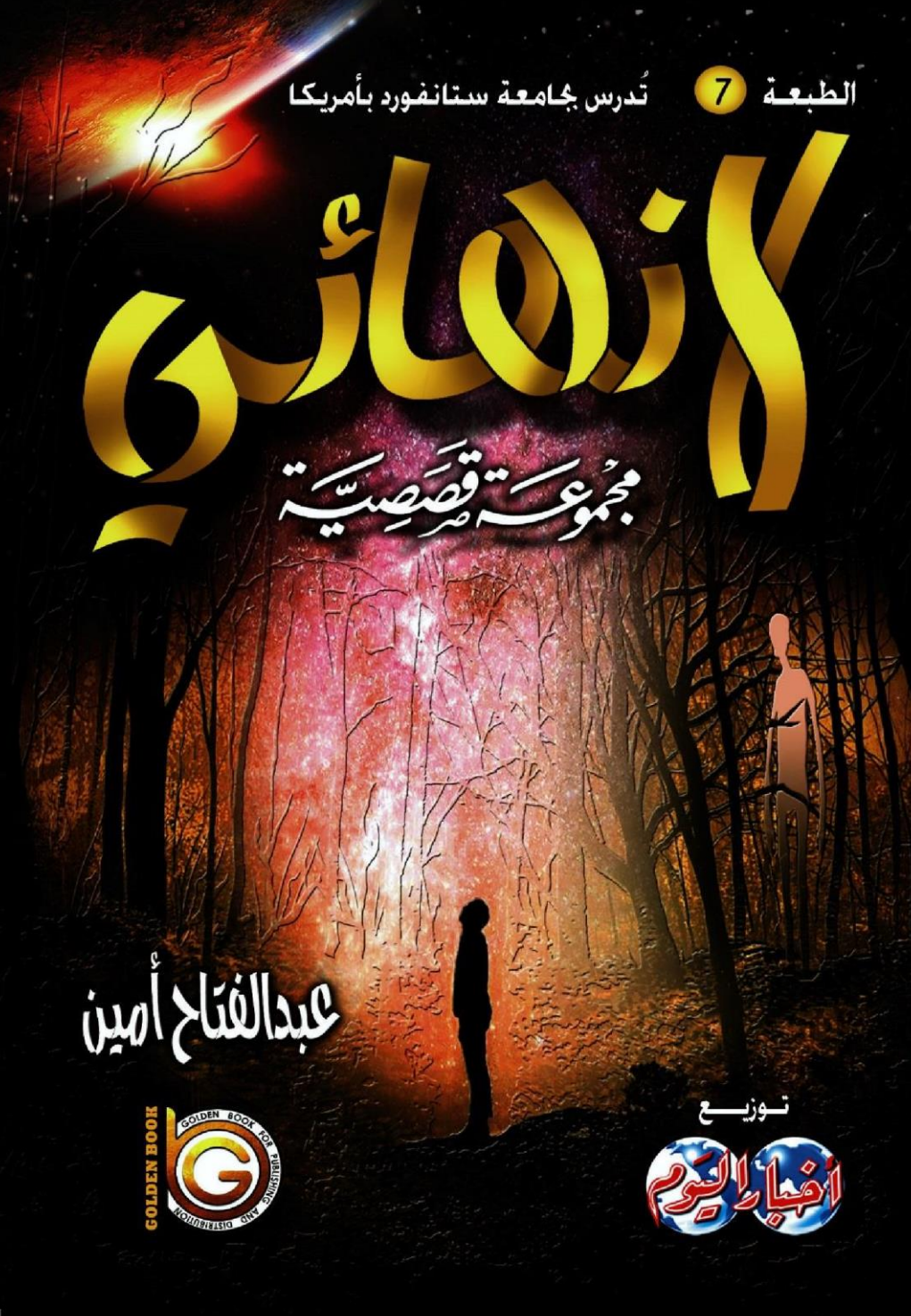

عبدالفتاح أمين

GOLDEN BOOK
GOLDEN BOOK FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTION

توزيع
أخبار اليوم

الكتاب :

الكاتب : عبدالفتاح أمين

رقم الإيـــداع : 2016 / 26806

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 978 - 977 - 6600 - 00 - 3

الطبعة السابعة : 2020 / 6

النــاشـــــــــــر : جولدن بوك للنشـر والتوزيـع

Golden Book

الإشراف العـــام : محمد الجمل

تصميم الغـلاف : عبدالفتاح أمين

مراجعـــة لغويـة : وليـــد مقلـــد

هل سبحتَ بخيــالِك يومًــا .. تتخطَى حـدودَ الكـون؟! ..

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف

وأي إقتباس، أو تقليد، أو إختزال، أو إعادة طبع بدون موافقة كتابية من المؤلف

يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية والتعويض المدني عن انتهاك الملكية الفكرية

عبدالفتاح أمين

لانهائي

Infinity

مجموعة قصصية

هل سبحتَ بخيـالِك يومًـا .. تتخطَى حـدودَ الكـون؟! ..

مُدرجة بأرشيف جامعة ستانفورد بأمريكا
وتُـدرس بالجامعة كنموذج لإبـــداع الشرق الأوسط

أُصَلِّي للإله الَّذي أعطاني أعوادَ البردي ..
وعلَّمني كيفَ أرسمُ الحروفَ والكلمات ..

إهـــــداء

إلى رَوحِ أَبي الطاهـرة ..

لا يزالُ قلبي ينبُضُ يا أَبي ..

بكلِّ مَا منحتني أنت ..

من فيضِ الحبِ والخير الغزير..

رَحِمَ اللهُ رَوحَـك النَّقيـَّة ..

وسيبقى طيفُكَ حيًّا بِأعمَاقِي إلى الأبَد.

مُـقـدمـــة

(لانهائي) : مجموعةٌ قصصيةٌ متمردة، متباينةٌ الأفكارِ، عديدةٌ الشخوصِ والحالات، تنبضُ قصصُها بالحياة، في عوالمٍ أسطوريةٍ ساحرةٍ، قُصَّت بأسلوبٍ شيقٍ، ينقلك من واقعٍ لخيال، في هدوءٍ حذر، يجمعُها رابطٌ، من جرأةِ الأفكار، وغرابة المحتوى، قد يُحيِّرُك غموضُ قصةٍ، أو تنتقدَ وقاحةَ أخرى، قد تبتسم، أو تبكي قد تقهقه بالضحك لكنك بالتأكيد ؛ ستُطرقُ رأسك في النهاية ؛ تُفكر بعمق ..

كونٌ لانهائي، يعجُ بالأسرار والطلاسم، يصعُب على عقولنا - رغم تطورها - ؛ فهم ماهيته السرمدية، أو سبر أغواره الأزلية السحيقة.

الكواكبُ لانهائية، الأقمارُ لانهائية، النجومُ لانهائية، المجموعات الشمسية والمجرَّات لانهائية، السُدُمُ لانهائية، تسبحُ جميعًا في عدمٍ لانهائي، لزمنٍ لانهائي، وإن تأملت قليلًا ؛ تجد الأعدادَ ذاتها، سالبها وموجبها، أعدادًا لانهائية.

حتَّى النفس البشرية، تحوي بأعماقِها كمًّا لانهائيًّا، من المشاعر والأحاسيس، الأحلام والكوابيس، الأسرار والتناقضات، والأسئلة العبثيَّة، الَّتي تطرحُ تلك المجموعةُ القصصيةُ بعضها :-

* لماذا تشعرُ حين تَلِجَ مكانًا لأولِ مرةٍ أنك يقينًا ولجته من قبل؟؟!!
* هل تُصدق بوجود الأشباح، أم هي وهمٌ من نسجِ الخيال؟؟!!
* ماذا سترى إن وقعت في حالةٍ من اللاوعي بين الموت والحياة؟؟!!

* هل من المحتمل أن يكون صوت الكينونة داخلك، هو صوت كيان آخر يتحكم بأفعالك؟ سؤالٌ غريب، قد لا يصحُ طرحه في الأساس !!
* كيف يختفي رجلٌ أمام ناظريك .. يتلاشى بمعجزةٍ دون أثر؟؟!!
* هل من الممكن رسم لوحة سريالية بالكلمات، فتغدو خربشاتٍ قصصية، تمتزجُ ألوانها الصارخة في جنون؟؟!!
* ماذا يحدث إن تمردت شخصية خيالية على كاتبها، وأصبحت شخصًا واقعيًّا حيًّا، يعصَى الأوامر ويتصرفُ كما يحلو له؟؟!!
* هل تخيلت يومًا، أن تكون ضحيَّةً في مأساةٍ دمويةٍ؟؟!!
* من يتجرأ فيعصى وصيةً أسطوريةً مقدسة، تتوارثُها الأجيالُ .. هل حقًا ينالُ عقابًا بشعًا ؛ كما تتوعدُ الوصية؟؟!!
* هل الموت هو السَّبيل الوحيد للحرية؟؟!!
* يحكمُ الوجود القوانين والدِّقة والنِّظام، فهل تؤمن بالصدفة؟؟!!
* هل تُصدق بوجود حياة عاقلة على كواكبٍ أخرى؟؟ .. هل سبحت بخيالك يومًا ؛ تتخطى حدودَ الكونِ، تنطلق خارجه في شغفٍ ؟!

لانهائي : تأملاتٌ أدبيةٌ حائرة، في كيانِ الكلمةِ، وفحوى العدم. تسعى نحو فهمٍ أعمق ؛ لأسرار الحياة والموت، لخبايا الكون .. تتوحدُ تبجلًا وخشوعًا ؛ لربِ الوجودِ الخالق.

تقــديـــم

عَالَم "عبدالفتاح أمين" الإبداعي

شكَّكَت القصة القصيرة الحديثة في مسلمات الفكر الإنسانى، ورفضت شمولية المعايير العلمية الموضوعية، والفلسفة العقلانية فظهر ذلك في سماتها القصصية من مفاهيم : اللانظام Disorganisation، والتشظي Fragmentation، والبتر Discontinuity وهو ما نراه من سمات في تجربة عبدالفتاح أمين القصصية.

حيثُ يلجأ إلى التشظي وعدم الاكتمال بأسلوب ما بعد ذهني وبتميزٍ إبداعي، فنكتشف اللانظام كقيمةٍ جماليةٍ ومعرفيَّة، ونميز تراكم السرد ما بعد الذهني، فيتجاوز التسلسل الزَّمني، ويجتازُ حدود الزَّمكان كما نرى في قصته "**لانهائي**" ، ويحطم منظومة السياق الاجتماعي اليومي في تداخل هويات متحركة بمونتاج سينمائي متلاحق، فيقوم بموهبته القصصية الفذة بتعمية الفواصل، وتعويم الحدود بين الأجناس الأدبية.

ونجده أثناء المعالجة القصصية يعتمد التناقض وعدم الانسجام بوصفها ملامح جمالية تنجح في خلق المباغتة الفنية والاكتشاف الإبداعي، ويلجأ في تقنياته إلى استخدام التعدد الصوتي في السرد كما نرى في قصته القصيرة "**ديجافو**"، وتبدأ قصته بالتجسيد الهامشي واليومي والمحلي لتحولها في لحظةٍ مفاجئةٍ إلى لعبةٍ فنيةٍ بعد ذهنية فنكتشف عالم أساطيري خلف الحدث اليومي المُعتاد، تبدو تجربته القصصية

كحالةٍ دائمة من عدم الاستقرار والتقلب، كحالةٍ من المراوغةِ المستمرة، وتتميز بالإبداع في انعدام اليقين وخلخلة فرضيات الفن وقواعده.

حقًّا تشتمل القصص باحترافٍ على عناصر قصصية تخلق سرد متكامل ينتهي غالبًا بالمفاجأة ؛ لكنَّها لا تهدف بالدرجة الأولى إلى رواية "حدوتة"، فتقوم القصة على عناصر متباينة ومتنافرة، ويقوم بتنسيق تلك العناصر في وحدة فنية مترابطة، وبأسلوب تتجاور فيه النصوص والصور والأحداث والمتتاليات القصصية .. حدود المألوف.

كما يُطبق فوضى الوجود المعاصر ويسعى إلى تفكيك اتفاقيات القصة من أجل فضح زيف الأسطورة التي تُروّج لنظم عقائدية مستندة إلى الوهمِ كما نرى في قصته "**عرش الكبير**".

ويجعل القاص القارئ على وعي بأن الشخصيات التخيلية ليست موجودة إلا بفعل أن المؤلف قد ابتكرها. وفي الأساس فإن : "العالم الوهمي وشخصياته ظهرت إلى الوجود فقط بفعل قراءة القصة" حيث تتحكم الشخصية "**شوشه**" في مؤلفها وتجبره على تحقيق رغباتها. ويُكثِّف المؤلف الغموض بين حدود الرّواية والواقع بخليط من وعي القارئ ؛ بدوره في إحضار العالم الوهمي إلى الوجود، ويقطع القصة من حين لآخر بتعليقاته، ساحبًا القارئ خارج عالم القصة المنظم في تعمدٍ سرديٍ مقصود، يحطم الحاجز العاشر بين المعالجة القصصية والقارىء.

وينطبق على جانب كبير من قصصه السرد الكولاجي بين الخرافة، والسحرية، والوهم، والواقعية، مثل ما نرى من مونتاج سردي متداخل في قصته "**عرش الكبير**"، حيث يغدو جسد النص لوحة سردية من

المشاهد تتجاوز فيها حقب تاريخية متباينة، وأحداث تنتمي إلى عصور شتَّى، وشخصيات متباعدة، فيقوم بالانتقال الزماني والمكاني، حتى نغرق بمفهومه الإبداعي داخل الحدث والمعالجة القصصية بأسلوبه المبتكر.

يُبشر **عبدالفتاح أمين** بموهبةٍ متمردةٍ .. تفرضُ نفسها بقوةٍ على الساحة الأدبية، والدراما المصرية المعاصرة، بأفكارٍ فنيةٍ مُباغتةٍ وفذة .. ورؤيةٍ إبداعيةٍ جديدةٍ ومتميزة ؛ في بناء وسرد السيناريو والقصة.

أحمد ريان النديم

ديجَــافـُّــــو
Déjà vu……

الحياةُ محببةٌ، والموتُ هادئ ..
تكمُن المشكلة ؛ في الانتقالِ بينهُما.
إسحاق عظيموف

- فين قرية (كفرِكَلَّا الباب) دي؟؟

يرمُقَني بنظرةٍ ناريةٍ صارمة وكأنني جاهلٌ في مادةِ الجغرافيا:-

- محافظة الغربية، مركز السنطة، وآدي جواب النقل .. اتفضل بقى يا أستاذ (عوض) .. يارب يكون حظهم هناك في الدِّلتا .. أحسن من حظِّنا هنا في الصعيدِ.

أطوي خطابَ النقلِ بحرصٍ، أحشُرُه بالمحفظة، خلفَ بطاقةِ الرقمِ القومي .. أنصرفُ مُسرِعًا لأُجهزُ حقائبَ السفر، أُردّدُ كلمتي (كفرِ، كَلَّا) .. ككلمةٍ واحدةٍ متصلةٍ!!.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- مدرسة (كفرِكَلَّا الباب) الإعدادية يا (حاجة)؟!

تُنزل (الحاجة) يدها الَّتي تَسندُ قفصَ البصلِ فوق رأسها، تضربُ صدرها عجبًا، أنظرُ ذاهلًا كيف يتوازنُ القفصُ حُرًا أعلاها، في حين تشيرُ إليَّ بكلتا يديها، تُمصمصُ شفتيها أنْ كيف لا أعرف الطريق وحدي؟! .. تُلقني إيَّاه كمن تشرحُ لتلميذٍ غبي للمرة الثانية .. أو العاشرة .. أعتذرُ لها عن غبائي .. أُحدِقُ مراقبًا خطواتها .. تسيرُ مسرعةً .. تُخرجُ كيسَ النقودِ من صدرها .. تُحصيه بكلتا يديها .. لا تَسندُ إحداها القفص!! .. واللَّعين .. يتحدى قوى الجاذبية .. فيتوازن مع حركتها .. لا يقع!!.

أخترقُ السوقَ وأنعطفُ يمينًا ناحية الترعة، أسيرُ حذاها حتَّى أرى (كوبري) عن يساري، أعبرُ (الكوبري) وألمحُ شجرةَ التُّوت (خد الجميل) العملاقة، أجعلُ الشجرة عن يميني وأسيرُ (طوالي) إلى أن أرى سورَ المدرسة ....

مهلًا .. أُبطئُ خُطواتي أتأملُ المدرسةَ العتيقة، أديرُ بصري أرجاءَ الحقولِ حولها، أنقلُ عينيَّ بين الأشجارِ والنَّخيل على شاطئ الترعة ؛ تُظللُ السُّورَ الخَلْفي للمدرسة. كلُّ شيءٍ يبدو مألوفًا!! حتَّى شجرة التُّوت العملاقة الَّتي جاوزتُها منذ قليل؛ لا تطرحُ سوى ثمار (خد الجميل) ؛ حيثُ يمتزج التُّوت الأبيض والأسمر والأحمر، في ثمرةٍ واحدةٍ شهيَّةٍ .. تلك الشجرة .. تبدو مألوفة، أكادُ أتلذذُ بمذاقِ ثمارها الحلوة .. تذوبُ في فمي.

- قد كنتُ هُنا من قبل .. في هذا المكان الحميم!!

تعجبتُ الخاطرة، أتذكرُ مشاق الطريق، الَّذي سلكته اليوم لأولِ مرةٍ في حياتي!! ؛ لكنَّ كلَّ شيءٍ يبدو حميمًا بالفعل، إلا من شيءٍ واحدٍ : أبراجُ الحمام فوق القصر .. كما يتراءى لي ؛ كانت تلك المدرسةِ قصرًا، وكانت تعلوه ثلاثةٌ من أبراجِ الحمَام، أتذكرُ الآن، أتخيلُ كلَّ غرفِ القصر ودهاليزه، نوافذه وأبوابه، أثاثه الفخم، اللَّوحات الَّتي تُزَّين جُدرانه .. لكن تلك المدرسةِ أمام عينيَّ، لا تعلُوها أبراجُ الحمام!!.

حتَّى اسم ((كفرِكَلَّا)) كلمةً واحدة، يبدو مألوفًا، رغم أنني سمعته للمرة الأولى، بالأمس فقط!! توجد ساقية على اليمين، هاهي، كما أذكُرُها، أين إذن أبراج الحمام الثلاثة؟؟!!.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

يتفحصُ ناظرُ المدرسةِ خطابَ النقلِ، أتأملُ الغرفة الرَّحبة، أتخيلُ كيف كانت كصالونٍ فخمٍ للضيوفِ في الماضي، أسأله مباشرةً :-

- فين أبراج الحمام يا حضرة الناظر؟؟!!

ينتبهُ لسؤالي، يُنزل النظارة فوق أنفه، يُبدلُ عينيه بين وجهي وخطاب النقل، يُلقي الخطاب على المكتب، ويتأملُ هيأتي من (فوق لتحت) :-

- حمام إيه يا أستاذ (عوض) .. إنت مُدرس لغة عربية.

- أبراج الحمام اللي كانت فوق السطح ..

- عندك الحصة الأولى في (تالتة رابع) يا أستاذ .. اتفضل .. مفيش هنا أبراج حمام.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ما كدتُ أخطو الغرفة، (تالتة رابع)، حتَّى هاجمتني ذكرياتٌ .. لم أعشها يومًا!!!! ....

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

-إنت اللي سرقت العُقد يا (مُرجان) .. حرامي وخسيس.

يضربُ (الباشا) بسوطِه على ظهرِ (مُرجان) في غضبٍ، يتكاثرُ الخدمُ حوله، يُقيدون يديه ويشلُّون حركته :-

- مش أنا يا باشا.. (سعدية) هي اللي نضفت الأوضة ..

تتربصُه (سعدية) بنظرتها النافذة الوقحة :-

- يا باشا طول عمري بخدمكم بعينيا .. قُدَّامي الدهب والألماس في كل حتة .. عمري مديت إيدي على حاجة؟!

يثورُ (الباشا) ثورةً عارمةً، تتوالى ضرباتُ السوطِ تزدادُ عنفًا، يشتدُ الألمُ، يتمزقُ ظهرَه، يصرخُ باكيًا رغمًا عنه :-

- والله العظيم مظلوم .. حسبي الله ونعم الوكيل .. ورحمة أبويا يا باشا ما سرقت حاجة ..

يصرخُ (الباشا) بصوتٍ يترددُ صداه بين جنباتِ القصرِ :-

- هقتلك يا (مُرجان) لو ماعترفتش .. إنت اللي سرقت العقد يا حيوان .. قول الحقيقة وأنا أرحمك.

- صدقني يا باشا .. والله ما دخلت الأوضة النهاردة أصلًا.

- كدة؟؟! .. طيب!! .. البُندقية بسرعة يا (إدريس).

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

أنتفضُ على أصواتِ التلاميذ المتداخلة المُزعجة ؛ تخترقُ آذاني ؛ أُعنِّفهُم ثائرًا، يسودُ الصمت، يتسمَّرُون كالتماثيلِ مذعورين.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

يُسرعُ (إدريس) يُحضر البُندقية ويلقُمها الطلقات، يترددُ خائفًا، يخطفُ (الباشا) البندقية، يصوِّبُ فوهتها نحو رأس (مُرجان)، تتأهبُ سبابته لضغط الزناد :-

- آخر فرصة ليك يا خسيس، فين العُقد؟؟.

- ما شفتوش يا باشا .. (سعديـ....).....

يضغط الباشا زناد البندقية، تنطلقُ الرصاصة فجأة .. تُهشمُ رأسي أنا!!!! .. تُلطخُ دمائي وفُتات مخي أثاث الغرفة الفخم .. أتهاوى جثةً هامدةً .. يأمرُ الباشا بدفني تحت شجرةِ المانجو بالحديقة ؛ يُسرعُ الخدمُ بتنفيذِ الأمرَ في فزع، فتتوارى جثتي تحت الثرى، حيثُ

تنمو شجرة المانجو ؛ تمتصُ بقايا جسدي المتحلل .. يمتزجُ بطمي التربة الخصبة.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

أُغادرُ الفصلَ شاردًا، أُهرولُ نحو الحديقة، أبحثُ عن شجرةِ المانجو، يُقابلُني حارسُ المدرسة العجوز، أسأله عن أبراج الحمام، يتعجبُ كيف أعرفُ أمرها وقد هُدِّمت منذ أكثرَ من مائتي عامٍ؟!! يُسرعُ خلفي، يُخبرني نقلًا عن جدوده : عندما مات (الباشا) صاحبُ القصر، لم يكن له وريثًا ؛ فاستحوذَ المماليكُ على القصر، نجَّست الجواري حجراته ؛ ثمَّ هَدَمنَ أبراجَ الحمامِ الثلاثة، وعندما اعترف الباب العالي بـ "محمد علي" كوالي للبلاد ؛ استولى الوالي على القصر .. ثم حوله لتلك المدرسة.

قهقهتُ بالضحك في جنون حين وجدتُ شجرة المانجو، تمامًا حيثُ أذكرها، أنهشُ الترابَ تحتها بأصابعي .. نحو الأعماق، والحارسُ يضربُ كفًّا بكفٍ، حتَّى ينكشفَ الثرى عن طرف جلباب (مرجان) الخادم، يفتحُ الحارسُ فمه ذُعرًا، يمسكني متشبسًا بذراعي وكأنني من قتلتُ القتيل .. أتحيرُ أمري، تجتاحُ ذاكرتي فجأة، كلُّ تفاصيل حياة (مرجان) .. أتذكرُ ملامح زوجته ووجوه أبناءه!! .. أقفُ حائرًا .. لا أدري : كيف أحْيَا أتنفسُ الآنَ .. وقد تمَّ دفني هُنا .. تحت أقدامي .. منذ مائتي عامٍ .. وبضع سنين؟؟!!!. ◆

تَنـــــُّـــورة
Tannowra

الشكُ ليس وضعًا مستساغًا ..
لكـنَّ اليقيـنَ حمـاقـةٌ.
فولتيـــــر

ينتحبُ باكيًا، تنهمرُ الدموعُ غزيرةً، تُغرقُ وجهه الجامد، تجاعيده الغائرة نُحتت من الصخر، تنسابُ العبرات عبر الأخاديد الوعرة، كالمطرِ بين شقوقِ الأرض، ينظرُ (صِدِّيق) لأضواءِ المسرح القوية، من حيث لا يراه الجمهور، تتشوشُ الرؤية، يمتزج الضياءُ أمام عينيه بقطراتِ الدمع، يفيضُ الحزنُ يتخللُ أعماقه، يعتصر قلبه بلا رحمة، ترتجفُ شفتاه حسرةً .. لا يعي بعد هولَ الفاجعة .. لا يُصدق!!.

يلتفتُ فيرى ابنته (أميرة)، ذات السبعةِ أعوام، تقفُ جواره بالكواليس، تتعلقُ بكفِه وتبتسمُ في براءة، يمسحُ دموعَه، يتمالكُ نفسه، يحاول الابتسام، ينحني ويُقبلُ خديها، يتحسسُ شعرها الأسود الطويل، ينسدلُ على كتفيها، يحتضنها مرتجفًا في حب .. يتأهبُ حينَ تصمتُ الموسيقى.

يعتصرُ كفَّها الصغير بنبضةٍ سريعة، يُذكِّرُها أن تستعد، تومئُ برأسها ضاحكةً : هي تفهم، مستعدة دون تذكير، تنظرُ له أنْ : لا تقلق يا أبي .. يبتسمُ فخورًا بفطنتها وذكائها.

تُعلنُ فاتنةٌ مُثيرةٌ بلغةٍ أجنبية، عن العرض الشرقي المميز : (التَنُّورة) .. تنطقُ اسم الفنان (صِدِّيق الحاوي) في ركاكة، ينطلقُ إلى وسط المسرح مع تصفيق الجمهور الحار وتهليلهم.. يُشيرُ لهم

بالهدوء، يُظلمُ المسرح .. تُسلَّطُ عليه حزمةً من النور الساطع .. يرى (أميرة) تقفُ مستعدةً إلى جواره .. يومئُ برأسه نحو غرفة التَّحكم ؛ فتنطلق الموسيقى ويبدأ العرض.

موسيقى حالمةٌ رقيقة، تشدو في شجنٍ .. ككمانٍ يبكي، يحتضنُ (صِدِّيق) طرف تنورته، كالطفل الوليد يُدثرُه (باللفة)، يدور حول نفسه يُراقص الرضيع حانيًا، يلمحُ (أميرة) تفعلُ مثله بتنورتها، تتمايلُ مع النغمات الحزينة، تحتضن وليدها .. كأنها أمٌ صغيرة .

تتصاعدُ الموسيقى وتتسارعُ النغمات تدريجيًّا، يدورُ سريعًا معها .. يتركُ تنورتَه تتحرر .. تبدأ الدفوفُ بالطَّبل، تطيرُ التنورة حوله كالأجنحة .. ترفعه إلى عنان السماء .. يُحلقُ فوق الوجود، ينظرُ لابنته تدورُ مثله في سرعة، يتطايرُ شعرها الأسود الجميل في الهواء، يفتح عينيه دهشةً، يرى خصلات شعرها الجميل، تطيرُ حولها وتفارقُ رأسها، تتساقطُ وتتناثرُ غزيرةً على المسرح، يُكذِّبُ عينيه، لا زالت الصغيرة تدورُ وتبتسمُ في رقة تغمزُ له بعينها، تستمتعُ بأدائها مع تصفيق الجمهور، يُحدقُ في شعرِ ابنته يتكاثرُ على الأرض، كيف لا تنتبه لما يحدثُ لها؟! .. يذعرُ حين تفقدُ (أميرة) كلَّ شعرها .. تصبحُ صلعاء تمامًا .. تضحكُ .. ينظر إلى الجمهورِ حائرًا .. تطيرُ الخصلات السوداء فوق رؤوسهم .. تتمايلُ الرؤوسُ في نشوة .. يصفقون في شغف!!!.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- للأسف.. عِدنا الأشعة والتحاليل للمرة التالتة .. نفس النتيجة.

يُمسك (صِدِّيق) تلابيب الطبيب، يجذبه نحو وجهه في عنف، يرمُقه غاضبًا، يتطايرُ الشررُ من عينيه :-

-إنت بتخرف بتقول إيه يا دكتور .. دي (أميرة) زينة البنات.

تُسرع (سميحة) تُخلّص الطبيب من يدي زوجها، تحولُ بجسدها بينهما .. تتأمل وجهه الثائر وعيونه الدامعة، تنهارُ بالبكاء يرتجفُ صوتها :-

- استهدى بالله يا (صِدِّيق) .. مش كدة، قضاء ربنا وقدره، ده إنت مؤمن وما بتفوتش فرض يا اخويا، إهدى أُومال .. وصلِّي على حبيبك النبي.

يُعدِّلُ الطبيبُ هندامه، ينظرُ حوله في حرج :-

- أنصحك تبدأ معاها جلسات الكيماوي فورًا، ربنا يشفيها.

يقذفُ الكلمات كالرصاص ثُمَّ ينطلقُ مسرعًا، يتحاشى عيون ممرضة الإستقبال الفضولية، يتابعُ (صِدِّيق) الطبيبَ ببصره

يبتعد، حتَّى يتخطى (أميرة)، تقفُ في نهاية الممر، تراقبهم في ريبة، وتبتسمُ له في براءةٍ كالعادة، يستنشقُ نفسًا عميقًا، ويزفُره حارًّا في حُزن :-

- عليه الصلاة والسلام يا (سميحة).

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

تتمايلُ رؤوسُ الجمهور في نشوةٍ وشغف، ما زال يدورُ بسرعةٍ خارقة، يرفعُ تنورته تُظللُ رأسه، يضغط زر البطارية الصغيرة؛ فتضئُ أطراف التنورة وزخارفها بالنور الأزرق، وتُظلم أضواء المسرح، تصرخُ الصَّيحات وينطلقُ الصفيرُ إعجابًا بالعرضِ الخلّابِ، دوائر من الضوءِ الأزرقِ تتراقصُ .. على أنغامِ الموسيقى .. وسط الظَّلام .. يدورُ فينظر لـ(أميرة) .. تحيطُها هالةُ تنورتِها بالضوء البراق، شعرها الأسود النَّاعم ينسابُ حول وجهها، يُرفرفُ كتنورةٍ لامعةٍ، يتعجبُ أمرَه!! ..

ما عادت ابنته صلعاء .. خصلات الشعر الغزيرة اختفت من أرض المسرح .. عادت ترفرفُ حول رأس ابنته .. لابدَّ أنه قد توهم سابقًا .. كان كابوسًا رهيبًا .. لا يخشى (صِدِّيق) الكوابيس، يضحكُ، وتضحكُ ابنته، تتناغمُ حركتهما في مهارة .. يحمدُ الله على نضارتها وجمالها، يُسارعان في الدوران بالتنورات المضيئة، تبلغُ الإثارة من الجمهور

مبلغها .. يصفقون في سرعة مع دقات الدفوف .. يقفُ بعضهم مندمجين مع حركة التنورة في رهف.

يشيرُ (صِدّيق) بعينه لـ (أميرة) إشارةً خفية، تومئُ الطفلة برأسها مؤكدةً : أعرفُ .. العرض قد شارف على الانتهاء .. تدورُ تضحكُ في مرح .. تطمئنه نظرتها المعتادة : لا تقلقْ يا أبي .. ينتظرُ بفارغ الصبر أن تتوقف الموسيقى حتَّى يحتضنها بقوة، لا يتوقفُ عن الدوران، ولا ينحرفُ بصره عنها مع كل دورة .. يرتجفُ قلبه وجلًا.

تعلو نغمات الموسيقى، تُدَقُ الدفوفُ في عنفٍ وسرعة، تُعزفُ النغمات تقتربُ للنهاية، تَصُمُّ الآذانَ آخرُ دقات الدفوف .. عاليةً يترددُ صداها، تصمتُ الموسيقى، يترك جسده يتهاوى أرضًا بحركةٍ مسرحيةٍ تُحيطُه التنورة، تسطعُ أضواء المسرح، يقفُ الجمهور يصفقون وقد أبهرهم العرض، تتعالى الصيحات، يُسرعُ (صِدّيق) لصغيرته، يجلس على ركبتيه ويحتضنها، يحتويها بذراعيه في قوة، يُهذِّب شعرها الأسود الطويل بأنامله، يُمطرُ وجهها البريء بقبلاته المرتجفة.

يتوقفُ الجمهورُ عن التَّصفيق متعجبين، تصمتُ صيحاتهم يُحدقون بـ(صديق) في دهشة ؛ فنان التنورة المُبدع .. يحتضنُ الفراغ .. يُقبلُ الهواء بشفتيه كالمجنون ..

ينتبهُ مذعورًا.. تتلاشى (أميرة) بين ذراعيه .. إلى الأبد ..

وحيدًا وسط المسرحِ، تَعودُ الدموعُ غزيرةً، تُغرقُ ملامحه الجامدة، ترتجفُ شفتاه حسرةً، لا يعي بعد هولَ الفاجعةِ ، لا يُصدق .. يقفُ باكيًا .. ينحني ينتحبُ للجمهورِ .. تلتهبُ أكفهم بالتصفيق الحار .. يُجهشون بالبكاءِ في انفعال.

ينفضُ أحدُهم عن كتفِه .. خصلةً من الشعرِ الأسودِ .. يتعجبُ من أين أتت؟؟!!. ◆

أفلاطـــــــون

Aphlatoon

نحنُ مجانين إذا لم نستطعْ أن نُفكر..
ومتعصبون إذا لم نُرد أن نُفكر..
وعبيدٌ إذا لم نجرؤ أن نُفكر!! ..
أفلاطـــون

النُّور الأبيضُ الساطعُ يكسو كلَّ الوجود، تنهمرُ خطوطٌ من النُّورِ المتداخل بكل الألوانِ، كشلالاتٍ تتألقُ بالضوءِ الصافي .. لا أرى أطرافي حين أمدَّها وسط الضِّياءِ ..

لا أدري .. هل عيني ترى في الأساس .. هل هي مغمضة؟!..

أين أنا؟! .. وماذا أفعلُ هنا؟! .. بل الأهم .. من أنا؟؟ .. من أنا؟!!! .. أنـــااااااااا................. حقًّا لا أدري .. لا أملكُ من الذَّاكرة سوى هذا النُّور السَّاطع الَّذي يُعمي الأبصار .. إن كنتُ مبصرًا في الحقيقة ..

هل عيني مغمضة؟؟!!..

أطيرُ فوق السَّحابِ، أخترقه بسرعةٍ صاروخيةٍ. ورغم سرعتي الرهيبة، أرى كلَّ شئٍ بوضوحٍ، كوكبُ الأرضِ الَّذي تنعكسُ الأشعةُ على صفحةِ مياهه فيسطع كاللؤلؤة، القمر بسطحه الفضِّي المموج، كيف تظهر أيُّها القمر وسط هذا النَّهار المُشع بالضوء المبهر؟؟!!..

ينحسرُ الضوءُ تدريجيًّا، فيغمُرُ السوادُ كلَّ ما حولي. لا أدري أين اختفي الضِّياء المبهر؟!.. لا زلتُ أبتعد .. يُغرقني ظلام الكون السرمدي، إحساسٌ مريحٌ يسري في أوصالي ويدغدغُ حواسي، كفيضانٍ من الهدوءِ والأمانِ، رُبَّما السَّعادة في هذا العالم المتشح بالسواد، إلا من نجومٍ تسطع وتنطفئ في تتابعٍ عشوائي، كقردٍ يضغطُ مفاتيح البيانو!! ..

ياله من تشبيهٍ مضحك!! .. وكيف لقردٍ أنْ يضغطَ مفاتيح البيانو؟؟!! ..

من بعيدٍ عددًا لانهائيًّا من الشموس، كُلَّما ابتعدت بتلك السرعة الرهيبة كُلَّما بدت أصغر فأصغر، تُكوِّن أشكالًا ومجموعاتٍ، تندمجُ كل المجموعاتِ في أكوانٍ أكبر، تندمجُ هي الأخرى في الكونِ الأكبرِ، الَّذي سرعان ما يتضاءل هو الآخر، ويندمجُ في كون أكبر ..

يبدو أنه لا نهاية لتلك الأكوان الأكبر .. يسري شعور الرَّاحة أكثر يتخللُ ذراتي .. يحتويني .. أنا الَّذي لا أعرفُ أي كيانٍ أكون ..

هل عينيَّ مُغمضة؟؟!! ..

يتكررُ من جديدٍ، كونٌ كبير يحتضنُ كلَّ الأكوانِ، لازلتُ أبتعد مخترقًا الفراغ، وكوكب الأرض الَّذي أعرفه .. لا يتعدى كونه مجرَّد ذرةٍ متناهية في الصغر .. تسبحُ وسط تلك السُّحب الكونية الرهيبة .. الَّتي تحوي بين ثناياها الضياء ..

سباق، إنه بالتَّأكيد سباق، أعدو بكل قوتي، يجبُ أن أكون الفائزَ في هذا السِّباق، عرفتُ الآن لِمَ كانت السُّرعة الصاروخية الَّتي أنطلق بها، مألوفة ومحببة، كم أعشقُ السرعة!!! ..

لا يهُمني العرق، أو الإجهاد، أو أنفاسي اللَّاهثة، ولا التَّعب الشديد الذي يُمزقُ عضلاتي، سأفوز حتمًا بهذا السباق ..

ومضةُ نورٍ قوية كفلاش الكاميرا .. يصحبها صوتٌ مكتوم .. أسمعُ أحدهم يناديني .. من بعيدٍ .. كمِن أعماقِ كهفٍ .. :-

- (أفلاطووووون) .. (أفلاطوون) ..

تذكرتُ الآن.. أنـا (أفلاطون).

◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- ابعـــــــدوا ..

يصرخ الطَّبيب .. يقتربُ بقُطبي جهاز الإنعاش الكهربائي من صدر أفلاطون. ينظرُ بترقبٍ لجهاز رسم القلب الَّذي يُصدر أزّيزًا متواصلًا، تسري الشُّحنة الكهربية في جسد أفلاطون فينتفض في عنفٍ، تهمسُ فتاةٌ جميلةٌ في أذنِ الطبيبِ، يرتجفُ صوتُها باكيـةً:-

- أرجووك يا دكتــور .. انقذ أفلاطون ..

تجهشُ بالبكاءِ في حرقةٍ، تمصمصُ الممرضةُ شفتيها في ازدراء .. يصرخُ الطبيبُ من جديدٍ :-

- ما حدِّش يلمسه ..

وتسري الشُّحنة الكهربية في جسد أفلاطون، ينتفض في عنف ؛ ثم يسكن وتخمد حركته، يصدر جهاز رسم القلب أزّيزًا متَّصلًا، تبدو الحسرة على وجه الطبيب، تتساقطُ دموع الجميلة، وتفتحُ الممرضةُ فمَّها في دهشةٍ .. تتعجبُ أمرَ الفتاةِ .. ويمتقعُ وجهُ الطبيبِ في يأسٍ.

يتبدلُ الأزّيزُ المتَّصلُ للجهازِ فجأة، ويُصدرُ دقاتٌ منتظمةٌ، يتنهدُ الطبيب ويزفرُ في ارتياحٍ، يمسحُ العرقَ عن جبينِه، تجمعُ الممرضةُ الأدواتَ، تتربصُ نظراتها بالفتاةِ في غيظٍ واضحٍ.

تمسحُ الفتاةُ دموعها في فرحة، غير مصدقة أن (أفلاطون) قد نجا، تُلقي نفسها تحتضنه وتُغرقه بالقُبلات .. وأخيرًا .. يفتحُ (أفلاطون) عينيه ..

تهمسُ الممرضةُ للطبيبِ وهُما يغادران (**إسطبل الخيل**) :-

- شُفت مشحتفة نفسها عليه إزاي يا دكتور؟؟.. أُومال لو كان بني آدم كانت عملت إيه؟؟!.

يشير الطَّبيبُ إلى قردٍ داخل الفيلا، يضغط مفاتيح البيانو :-

- هي بتموت في الحيوانات، مجنونة، بذمتِك وعينِك، فيه حد عاقل يسيب قرد كدة .. قاعد يعزف عالبيانو؟؟!. ◆

تجاوز تلك القصة الغريبة ..

واقرأ الَّتي تليها..... !!!!

شيــزوفرينيــــــا

Schizophrenia

الأحمقُ يظُنُّ نفسَه حكيمًا،

لكنَّ الرجلَ الحكيمَ يعرفُ أنَّه، أحمقٌ!!

وليام شيكسبير

كنتُ منهمكًا في كتابةِ تلك القصة الأخيرة - رُبَّما سبق وقرأتها بالفعل - (سيدي القارئ) .. عن شخصيةٍ، أبدعها كاتبٌ في خياله، تحوَّلت بقدرةِ قادرٍ، لشخصٍ واقعيٍ حي، من لحمٍ ودم .. واسمح لي أن نبدأ برفع الكلفة بيننا ؛ حتَّى نتقاربَ كالأصدقاء!!.

فها أنا أكتب، وها أنت تقرأ، وكأننا نتحدثُ سويًّا بحجرةٍ مغلقة، لا ثالث بيننا، ولو كُنا ذكرًا وأنثى، لكان ثالثُنا الشيطان، كما تقول الأحاديث، وكما يحلو لعقولنا أن تتخيل، وكما يحدُثُ في الأفلام الهابطة، وكما تؤكد نظريات فرويد.

ولا تعتقد (صديقي) أنِّي لا أسمعُ ما يدور بعقلك .. فرغم كوني (بحكم مهنتي) : الثرثارُ الأعظمُ بيننا، أنت وأنا، إنْ لم أكُن أنا : الثرثارُ الوحيد .. لكن صدقني .. أسمعُك جيِّدًا ..

أُناقشُك أحيانًا، وأراقبك حين تقرأ، تقفزُ عيناك فوق الكلمات؛ فتعقدُ حاجبيك معترضًا، أو تبتسم في استمتاعٍ، أو تُطل من عينيك تلك النَّظرة النارية الحائرة : (هي الدماغ دي آخرها إيه يعني؟!) .. ونادرًا ما تُغلق الصفحات في وجهي، فأنتفضُ أنا مذعورًا!!.

حسنًا، دعنا أولًا، كما اتفقنا في السُّطورِ الأولى، أن نرفع الكلفة بيننا، هل توافق؟؟.. شكرًا لتفهُمك..

بعد أن رفعنا الكلفة بيننا، دعني أقصُّ عليك ما حدث :-

كنتُ منهمكًا في كتابة تلك القصة الأخيرة - على الأحرى أنك قد قرأتها - حين مددتُ يدي إلى عُلبة السجائر، أفجعني أن كانت فارغة

.. مصيبةً كبرى .. جاوز الوقتُ منتصف الليل، وقارب على الفجر، وأنا .. أتنفسُ دخانَ السجائر باستمرار، تمامًا كالهواء، تتهافتُ رئتاي عليه، وتطلبه في استماتة ..

توجد دائمًا سيجارة مشتعلة بين أصابعي، وأحيانًا سيجارتين في نفس الوقت، أختنق في الحقيقة، حين أستنشقُ هواءً نقيًّا .. غير ملوث بالدخان .. أتألم وأبدأ بالسُعال الحاد .. وعلاجي الوحيد .. أن أسحب أنفاس السيجارة المقدسة بعمق ؛ فترتاح رئتاي ويهدأ صدري .. تلك طبيعتي ..

سأموتُ قطعًا رغبةً في الدخان، مختنقًا بانعدام النيكوتين، فما العمل؟! .. سمعتُ في عقلي صوتًا يهمس :-

- انزل اشتري علبتين سجاير..

مهلًا (صديقي القديم)، لعلَّك الآن تحادثُ نفسك بعد هذا الإستهلالُ المنمقُ : ما علاقة السَجائر والصَّوت الهامس، برفع الكلفة بيننا؟؟! .. وما قصة الشخصية الخيالية الَّتي تحوَّلت بقدرةٍ قادرٍ، لشخصٍ واقعيٍ حي، من لحمٍ ودم؟؟! .. وماذا يقصد الراوي بـ (فرويد) والأفلام الهابطة؟! .. ماذا يريدُ هذا الراوي المخبول أن يقولَ تحديدًا؟! ..

والحقيقة .. أنت تُحسن التفكير بالمنطق، ولا يسعني، إلا أن أُبدي إعجابي الشديد - المبالغ فيه - بذكائك وفطنتك، حينَ تحاولُ أن تجدل الخيوط جميعًا في ضفيرةٍ واحدة .. مترابطة ومفهومة.

لكنني أرجو، أن تطرح أرضًا - الآن - حُكمك على الراوي المخبول - الَّذي هو أنا - ؛ بل وتضرب بتلك القصة الَّتي أرويها عرض الحائط، نعم .. عرض الحائط، أرجو موافقتك على ذلك، وأشترطُ الموافقة كي أُكمل سرد قصتي المجنونة .. وهذا إعمالًا للديمقراطية .. شكرًا للموافقة.

بعد أن ضربنا بالقصةِ عرض الحائط، كل ما أرجو الآن (وأعتذرُ إن كنتُ أرجو كثيرًا) .. أن تُعمل العقل في تركيز، فما أنوي سَردَه .. هو أمرٌ، جدُ عسير!! .. وستتحقق من ذلك بنفسك.

وجب هنا أن أُحذر، قد تشُك (أخي الحبيب) في إصابتي شخصيًّا بالبارانويا، أو الشيزوفرنيا، أو الجنون المطبق. ونصيحتي حين تراودك تلك الأفكار المنطقية البشعة، أن تطردها من ذهنك فورًا، وتستبعدها تمامًا، مع العلم أن : البارانويا والشيزوفرينيا والجنون، أمراض نفسية عادية، ويمكن علاجها بالأدوية، في سهولةٍ ويسر.

محورُ قصتنا، أنا وأنت .. (ركِّز معايا) .. محورُ قصتنا : (الصوت الهامس بالعقل)، ويحقُّ لك أن تغزل حول محور القصة .. الخيوط والضفائر المترابطة .. كما تشاء .. لنرجع للبداية.....

سمعتُ في عقلي صوتًا يهمس :-

- انزل اشتري علبتين سجاير..

التفتُ حولي في هدوء أتأكدُ أن لا أحد في الغرفة،أنتبهُ، أُعيدُ سماع (صدى الهمس) في أذني .. ما هذا الصوت الهامس؟! من

يكون؟! هل أنا من قلتُ ذلك؟! .. لا، ليس أنا، إنه حتَّى، لا يُشبه صوتي!! صوتُ مَن إذًا؟! .. حدثتُ نفسي :-

- إنه ذلك الصوت المألوف، أعرفُه جيِّدًا، دائمًا يأمرني بفعل أشياء فأفعلها على الفور، أو أفعلها بعد مماطلة، المهم أنني في النِّهاية، أفعل دائمًا ما يأمرُ به، يالحماقتي!! .. كيف لم أنتبه لهذا الأمر من قبل؟!

- قوم البس عشان تنزل .. اشرب ميه سَقعة من التلاجة .. روح اتطمن على أمك .. اكتب المسلسل .. ارسم .. اشتغل .. اكسر كل التابوهات .. إشارة يمين ودوس فرامل .. استحمى ونضف كوعك وتحت باطك كويس .. ما يهمكش رأي الناس .. كمل سيناريو الفيلم .. ابتسم بثقة .. ارقص .. احزن .. طب غنِّي .. عيَّط بحُرقة عشان تستريح ..

صوتٌ يبدو وكأنه ينبُع من الذات ؛ لكن .. هل هذا الصوت بالفعل .. ينبُع من ذاتي أنا؟! هل هو- أنا - في الحقيقة؟! .. أسمعه كثيرًا، وأحاوره أكثر، لكن لماذا يتحدثُ دائمًا نيابةً عني؟! .. لا دليل ملموس على أنه أنا ؛ بل قد تشير كل الأدلة إلى أنه (آخر) .. وإن لم يكُن أنا (وهو بالتأكيد ليس أنا) فمن يكون هذا (الآخر)؟!

صوتٌ غريبُ يَدَّعي صوتي ولا يشبهه!! .. كيف لصوتٍ غريبٍ أن يغزو عقلي .. يأمرني، وأطيعُ أنا صاغرًا؟؟؟!

وحيثُ أننا قد بدأنا بالأسئلة الَّتي - قد - تُشير إلى شبهة الجنون، فدعني أذكرك، لُطفًا، باستبعاد تلك الفكرة الخبيثة، عن شخصي

العاقل الرزين، ولن أُمانع بإرفاق شهادة معتمدة من الأطباء النفسيين، تنفي جنوني .. إن لزم الأمر.

قلتُ لنفسي، وأنا أعرفُ صوتي جيِّدًا - على وجه الدقة - قلتُ أنا لنفسي :-

- أقوم أعمل شاي الأول.

همس الصوتُ الآخر بعقلي، أُدققُ متفحصًا الصوت :-

- يا ابني انزل اشتري سجاير، هي كوباية الشاي تنفع من غير سيجارة؟! ..

تأكدتُ تمامًا، يختلف الصوت بوضوح عن صوتي الحاد، ثُمَّ إنه يخاطبني - لأنه ليس أنا - بضمير المخاطب (أنت .. افعل كذا) .. أمَّا أنا - لأنني أنا - فأخاطبُ نفسي دائمًا بضمير المتكلم (أنا .. سأفعل كذا) .. لن تنطوي على تلك الخدعة بعد الآن، إنه بالتأكيد شخصٌ (آخر) .. أين هذا الشخص؟!

قمتُ أبحثُ خلف الستائر وتحت الكراسي والأسِرَّة، لا يستطيع أحد الاختباءَ تحت السجادة .. كما أنه بالتأكيد لن يختبئ بأدراجِ المكتب .. هل يختفي بين صفحاتِ الكُتب؟؟.. رُبَّما خلف تلك المرآة الملاصقة للحائط .. كُلَّما نظرتُ للمرآة .. أشعر به يحدق بي، قطعًا يختبئُ خلفها .. بدأتُ أرتدي ملابسي .. أُفكرُ بعمقٍ :-

- يا ترى!! أعمل الشاي الأول؟؟ ولا أنزل أجيب سجاير؟؟ ولا ما اكملش لبس وأنام؟؟! .. اختيارات صعبة فعلًا، محتاجة تفكير

عميق، والتفكير هياخد وقت .. وقت طوبيييييل، ماهو لو فيه سجاير، كان الواحد ولَّع سيجارة، وأمْعَن في التفكير براحته .. هنزل أجيب سجاير وخلاص ..

هُنا يتدخل الصوت الهامس بحميمية معهودة :-

- أيوة، تمااااام، كدة إنت بتفكر صح، انزل هات السجاير الأول، وبعد كدة المشكلة هتتحل .. أصلًا مفيش مشكلة .. يلا بقى .. السجاير ..

أردتُ أن أسأل هذا (الآخر) ذو الصوت المعهود :-

-إنت مين؟؟ .. بتدخل دماغي إزاي؟؟ .. طب أنا ليه بسمع كلامك وأنفذه؟؟ .. مشكلة؟؟!! .. مشكلة إيه اللي إنت بتتكلم عنها؟؟!! ..

لكنني لم أجرؤ أن أسأل .. إن سألت - ولن أفعل - سيخبرني بالتأكيد أنه : أنا، وستكون حجته المنطق، ويتهمني أنا، كالمعتادِ، بالجنون .. هربتُ من الحوار بلباقةٍ مزعومةٍ ؛ حيثُ : (لم أسأل)!!.. وأكملتُ ارتداء ملابسي .. لمحتُك تبتسم.

تعجبني أحيانًا النبرة الآمرة، بها حماسٍ مُحبب للنفس، سمعتُ برأسي صوت (الآخر) بنبرةٍ آمرةٍ .. محببةٍ .. :-

- يلا بسرعة .. خد المفاتيح، المحفظة، الولَّاعة عشان تولع سيجارة وإنت راجع ..

قفزتُ نازلًا السلالم في نشاط، صوتُ ضحكاتٍ شامتةٍ تترددُ بعقلي، نفس الصوت .. (الآخر) .. يحاول أن يُخفي ضحكاته بعيدًا عن سمعي .. شاردًا هرعتُ أبحث عن محلٍ أو كشك يبيع السجائر، في هذا الوقت المتأخر، حتَّى وجدته.

أشعلتُ سيجارةً في طريق العودة ؛ كما نصحني، وعندما شعرتُ بلذة دخاني المقدس تجتاحُ أوصالي .. أحسستُ بالامتنان نحو هذا (الآخر) لإقتراحه العظيم .

سرتُ عائدًا بتأنٍ، أخذتُ أفكر بكينونة هذا الصوت الآمر الناهي، ماهيته وحقيقته، رُبَّما وُلد مع ولادتي، أو كان موجودًا منذ الأزل، ينتظرُ ميلادي في صبر، حتى يقتحمَ عقلي، فيترددُ صداهُ بين جنباتِ النفسِ .. وينفذُ العقل مشيئته مسلوب الإرادةِ.

هل سيفنى (الآخر) عند فنائي ؟؟!! .. رُبَّما .. ورُبَّما يستمرُ بالبقاء بعد موتي، مَن يعلم؟؟!! .. يبحثُ عن غيري .. ويبدأ تلقينه الأوامر، حتَّى يسلبه الإرادة مثلي!! ..

والآن.. بعد رفع الكلفة منذ البداية، وبعد أن توطدت العلاقة بيننا، دعني أتجرأ فأخبرك .. بكل وقاحة .. مع الأسف : أنت أيضًا .. تسمعُ الصوت الهامس بعقلك دائمًا .. تشعر به الآن يتحدثُ إليك .. أنصِت .... نعم هذا الصوت.

أنت الآن تسمعه بوضوح .. يخاطبُك كمن يتحدثُ لنفسه .. أنصِت أكثر .... هذا ما أخبرك عنه .. هل صدقتني؟؟ .. حتَّى أنَّ الصوت .. يُحدثُك عني!! ..

يأمرُك فتطيع .. أو يحايلُك فتستجيب .. يدعي أنه ينبع من كيانك وذاتك .. يحتالُ عليك .. ويحترفُ الخداع فيقنعك مؤكدًا .. بأنه .. هو .. أنت .. أنت من تقرر .. وسوف تُقررُ أنت .. دائمًا .. مشيئته .. هو .. في النهاية!!.

هل صوتُ (الآخر) الَّذي أسمعه بعقلي، هو نفس الصوت الَّذي تسمعه أنت بعقلك؟!..

سؤال بسيط للغاية، أجبني، حاول أن تصف لي الصوت الَّذي تسمعه أنت .. هل تمتلك القدرة على وصف الأصوات .. بدقةٍ .. ترقى للسمع؟؟!!.

هل كل الأصوات الّتي نسمعها جميعًا لها نفس الكيان، كيان واحد هائل يتحكم بها، تتحدثُ كلُها بلسانه الأوحد؟؟ .. أم أنها كائناتٌ (أخرى) متعددة، لكلٍ منّا صوت آخره المختلف الخاص، وفق خطة كبرى محكمة، تسيطر على نظام شامل متشابك، عظيم الشأن .. رُبَّما .. كفيلم ماتريكس الشهير ..

(إن كنت صديقي، قد فهمت ما أقصدُ تحديدًا .. ليتك تفهمني إياه .. فقد شتتُ منك قليلًا!!) .. تبتسمُ مرةً أخرى!!.

هل نحن مبرمجون أن نطيع تلك الأصوات الأخرى .. نصدقُ واهمين أننا نحنُ من نُقرر ونسيطر؟؟!!..

لن أتعجب ؛ اليابانيون استطاعوا بالفعل برمجة الجينوم البشري (الحمض النووي DNA) .. وتحميل المعلومات عليه كوحدةِ تخزينٍ ؛

بل واستطاعوا تغيير صفاته الوراثية، تلك طبيعته والغرض منه، هذا الجينوم اللعين، أن تتم برمجته، فيقودنا مسلوبي الإرادة!! ..

عذرًا .. لا أريد طرح أفكارًا - قد - تقودُ إلى الجنون، مرةً أخرى .. لذا .. أنصحُك أن تطرد تلك الأفكار المتشككة خارج رأسك .. رُبَّما يكون الموضوع برُمته ضربًا من الجنون .. أو هو الجنون بعينه .. لا يعنينا !!! ..

أنا وأنت، أصدقاء قدامى، متحابين كالأشقاء لذا .. بكل شجاعة، شاركتُك تخاريفَ قصَّتي الغريبة، الَّتي لا يجوز سردها على الملأ، ولا تُقص إلا للأهل، حيث تؤتمن الأسرار، وتحملتُ أنا - لأننا أصدقاء - إتهامك المتكرر لي بالجنون في أكثر من موضع، وتأكيدك على ذلك دون شك..

رُبَّما تكونُ على صواب ؛ قد يكون إتهامي بالجنون، في عينِ موضعه، ولتحترق كل شهادات الأطباء المعتمدة في الجحيم!! لا يجبُ علينا - أنا وأنت - أن نُعطي الأمر أكبر من حجمه ..

وأنا .. كما تعلم عزيزي .. صدقًا والحقُ يُقال : لا يزعجني أبدًا .. بل يسعدني ويشرفني .. أن يتم اتهامي بالجنون !!!.

قصَّتي باختصار - تحسُبًا لوقتِكَ الثمين - أمرني صوتٌ غريبٌ بإحضار السجائر، تنكّر في صورتي، وتحجّج بأنني سأموتُ حتمًا دون الدخان المقدس، وبعد مماطلةٍ منِّي، قررتُ أنا، بكامل إرادتي وقواي العقلية، أن أُطيعَ الصوت صاغرًا، رغم علمي الأكيد أنه يدعي كونه : (أنا) .. وهو في الحقيقة : (آخر)!!.

والأدهى أننا – (أنا) و(الآخر) - نعلمُ جيّدًا أنه بالتأكيد .. (آخر) ؛ لكنه يستمرُ مُدعيًّا كينونتي، وأستمرُ (أنا) مصدقًا بيقين .. كونه .. (هو) .. (أنا)!! .. وتلك هي القصة الغريبة الَّتي أحببتُ سردها.

كدتُ أن أنسى .. أُنهيتُ كتابة القصة الأخيرة - الّتي قرأتها إنت - .. تلك القصة .. عن شخصيةٍ أبدعها كاتبٌ في خياله، تحوّلت بقدرةِ قادرٍ لشخصٍ واقعيٍ حيٌ .. من لحمٍ ودمٍ!! .. قصةٌ أخرى .. أرجو أن تكون قد استمتعت بقراءتها.

أخيرًا، أخي العزيز، أنا وأنت، كعشرةِ عُمرٍ وأصدقاء طفولة وبعد كل تلك السنين الطويلة .. معًا .. من الاحترام والأخوة والحب .. وكعادتنا دون كلفة ؛ وجب أن أُذكرك .. أننا .. وبموافقتك .. إعمالًا للديمقراطية .. قد قررنا في البداية .. أنت وأنا.. شرطًا قبل السرد : أن نضرب بتلك القصة المجنونة .. عرض الحائط!!.

◆

درويـــــــش

Darowiesh

لا يكفي أنْ تكونَ في النورِ لكي ترى .. بل
ينبغي أنْ يكونَ في النورِ .. ما تراهُ.
عباس محمود العقاد

- سوق بالراحة يا أسطى مش كدة .. هدِّي السرعة شوية وحياة أبوك.

لم يُلقِ الأُسطى (حسنين) بالًا، للزبونِ الَّذي يصرخ بجواره ويلوِّح في عصبية .. ينطلقُ بسيارته الأُجرة (وش السعد) - كما يحلو له أن يسميها - فيزأرُ المحرك بقوةٍ مع السرعة الصاروخية الَّتي ينطلقُ بها، ينهبُ أسفلت الطريق المظلم .. يندفعُ متعرّجًا بين السياراتِ، كثعبانٍ خارقٍ، فائق السرعة، حتَّى أن بعض السائقين، بالكادِ يلمحونه، يمرُق أمامهم ويختفي، في لمح البصر.

- يا جماعة أنا سواق، بقالي 25 سنة سواق، ودي شُغلتي .. سواااااق .. جهز إنت بس الأجرة يا ذوق .. الله يرضى عليك.

تصرخ المرأة بالمقعد الخلفي، تضربُ صدرَها بكفيها في قهر :-

- يا اختي!! .. ما تهدى شوية يا أسطى .. عندنا عيال عايزين نربيها.

لم يعبأ (حسنين) بما تقولُ المرأة أيضًا، اعتاد تجاهل تعليقات الزَّبائن المذعورة، لا يزال يمضي بسرعته المعهودة، واثقًا في نفسه ثقةً عمياء، يستمتعُ بمهارته في القيادة المهنية الماهرة .. لا يفوقه بها .. أي سائق آخر على الطريق .. مهما كان محترفًا.

أخيرًا يضغط الفرامل برفق - كسائقٍ مُخضرَمٍ - إشارة يمين، يُبطئُ السرعة، ينظرُ في المرآة اليمنى، يضغط زر الانتظارِ، يقفُ بـ (وش السعد) أقصى يمين الطريق، أمام مسجد مضئ وسط منطقة نائية -:

- جامع سيدي (الدسوقي).. تحبوا أدخلكوا عند الميدان اللي ورا؟؟.

يتنفس الزبون الصُعداء، وينزلُ مسرعًا يسُبُ ويلعن، يفتحُ البابَ الخلفي لرفيقته الَّتي تُردد الشهادتين وقد تعرَّق وجهها :-

- لا يا عم، هنكملها مشي .. منك لله يا شيخ .. حسبي الله ونعم الوكيل!!

- 35 جنيه يا ذوق ..

- إيه؟؟ .. كتير أوي يا أسطى، والله باجي نفس المشوار عالعداد بـ 25 .. مش كفاية سواقتك اللي زي الزفت .. دي الولية هترجَّع.

- أمري لله، هات 30 جنيه يا ذوق .. وتوكل على الله ..

يدفعُ الزبونُ الأجرة، ويبتعدُ عن حيِّز رؤية (حسنين)، فيظهر في عمق المسجد .. شيخٌ يُشع بالضوء الأبيض البراق .. تمامًا صوب ناظريه .. بعيدًا في عمق المسجد .. اللون الأبيض يحتويه، من قمة رأسه لأخمص قدميه : شعره ولحيته، جلبابه وعِمامته، بل شاله وقفطانه، كلها باللون الأبيض النَّاصع، فبدا تحت أضواء المسجد القوية، كمن يُشعُّ بالضوء البراق، تحيطُه هالةٌ من النور الساطع .. والأدهى .. أنه ينظرُ لـ (حسنين) بابتسامةٍ هادئة ..

يرفعُ (حسنين) يدَه بالتَّحية، لكن (الشيخ) يختفي فجأة .. يفتح فمه عجبًا .. يفركُ عينيه محدِّقًا في عمق المسجدِ .. لا يدري أين اختفي هذا الشيخ؟؟ .. أين نوره الساطع؟؟ .. يلتفتُ حوله، لا يوجد

(صريخ ابن يومين) على الإطلاق، داخل المسجد، أو خارجه على امتداد البصر، حتَّى الزبائن قد انحرفوا مسرعي الخُطا .. بشارعٍ جانبي .. يؤدي إلى الميدان الخلفي.

يستعيذُ بالله من الشيطان الرجيم، يمضي في طريقه المظلم، ولم يكد يبتعدُ عن المسجد، حتَّى وجد شبح شخصٍ يقفُ على اليمين أمامه، يشيرُ إليه بالتوقف .. يضيءُ (حسنين) النور العالي، يُذهَل ويُكذبُ عينيه .. نفس الشيخ، يُشعُ بالضوء - أيضًا - تحت مصابيح (وش السعد) .. يديرُ نظره ناحية المسجد خلفه .. ثم ناحية (الشيخ) عدة مرات في دهشة، يتوقف بالتاكسي إلى جواره، يرتعدُ خوفًا .. يشيرُ (الشيخ) إلى الطريق المظلم .. قائلًا بصوتٍ عميق :-

- أي حتة عمار .. معاك عالطريق .. يا أسطى (حسنين) ..

يتعجبُ (حسنين) .. يُحدقُ مذهولًا .. كيف أتى هذا (الشيخُ) إلى هنا في طُرفةِ عينٍ؟؟ .. وكيف يناديني باسمي وكأننا عِشرةُ عمر؟؟ .. كيف له أن يعرف اسمي أصلًا؟؟.

تنفُذ رائحة المسك القوية إلى خياشيمه، ينفضُ أفكاره بعيدًا ويبتسمُ منشرحًا :-

- اركب يا راجل يا بركة، اركب، هوديك مطرح ما إنت عايز، هو إنت تعرفني منين يا شيخ؟؟

يركبُ (الشيخ) إلى جوار الأسطى (حسنين) بهدوء، كأنه قد انساب من الخارج إلى المقعد في نعومةٍ .. لا تدري حتَّى .. إن كان قد فتح الباب

.. أم انساب عبر النافذة؟؟!! لا تزالُ هالة الضوء الساطع تُحيطه .. يبدو عن قرب كـ (درويشٍ) مهيب .. ينظر إلى عيني (حسنين) .. يربتُ على المخدع متحسسًا السيارة بأصابعه .. يبتسمُ كمن لا يخفي عليه خافية :-

- وأعرف (وش السعد) كمان ..

يحدِّقُ (حسنين) في ملامحه الهادئة، تطمئنُ نفسه، يشعرُ فورًا أنه رأى تلك الملامح الطيبة من قبل ؛ بل ويعرفُ هذا (الدرويش) عز المعرفة!! .. أين؟ .. متى؟ .. لا يهم .. مع هذا الوجه الصبوح .. الَّذي تفوح من صاحبه المبروك .. رائحة المسك العطرة .. ينطلقُ بالسيارة .. كالمعتاد .. بسرعته الصَّاروخية المحترفة، ويعتدلُ (الشيخُ) في جلسته :-

- بتغرِف كتير من نصيب الستر .. يا ابن (بهية) ..

- الله أكبر .. عارفني .. وعارف (وش السعد) .. وكمان عارف اسم أمي .. بركاتك يا مولانا .. ويطلع إيه نصيب الستر ده؟؟ .. نورني ربنا يرضى عليك .. سيجارة يا سيدنا الشيخ؟؟!!

يُشعل (حسنين) السيجارة مرتبكًا .. يلتفتُ له (الشيخ) :-

- عندك نصيب من الستر يا ابن (بهية)، ربنا سبحانه وتعالى، قسِّم لكل واحد من خلقه نصيبه من الستر، المولى عز وجل يسترها معاك آه .. لكن بحساب موزون، يسترها معاك مرة خمسة، عشرين .. إنَّما مش على طول يا (حسنين)، مش للأبد يا ابني، نصيب الستر محدود،

وإنت عمال تجِّف وتاخُد منه، وهو كل مادا بينقص ويقل، ومسيره يخلص .. وما تلاقيش في نصيبك .. أي حاجة تستُرك!!.

يتردد صدى الصوت فيلتفتُ (حسنين) حوله في فزع .. يُفكر في حديثِ (الدرويش) المكشوف عنه الحجاب .. يبطئُ من سرعة (وش السعد) نافثًا دخان السيجارة، يشيرُ بيسراه من النافذة للسيارة خلفه أن تسبقه .. يسمعُ الصوتَ العميق يترددُ صداه في مهابةٍ وإجلالٍ :-

- حرَّص على نصيبك من الستر .. يا ابن (بهية) ..

وعندما التفت (حسنين) جانبه آملًا أن يستزيد من علم مولانا العارف بالله وجده وللمرة الثانية .. قد اختفي!! يلتفتُ حوله يحدقُ في الفراغ داخل السيارة .. راحت هالةُ الضوء .. وساد الظلامُ .. رائحةُ المسك النفاذة .. لازالت تعبقُ بالهواء ولم يكن هناك أيُ (درويش) .. (الشيخُ) قد تلاشى .. كما انساب بنعومةٍ للداخل .. تبخر بنعومةٍ للخارج .. بالتَّأكيد هذه المرة .. عبر النافذة!!

كان يجلسُ هُنا على المقعد .. يخاطبه منذ لحظات .. ويراهُ رأي العين .. فأين اختفي؟! .. كيف يختفي في الأساس؟!..

يُردّدُ (حسنين) بصوتٍ عالٍ : (سلامٌ قولًا من ربٍ رحيم) .. يقرأُ المعوذتين .. للمرة الأولى في حياته المهنية .. يقودُ ببطءٍ وحذرٍ شديد .. يعيدُ التفكير بنصيب الستر .. الَّذي يوشكُ على النفاذ .. ويلتفتُ حوله حائرًا .. تُرى .. كيف تبخر (الدرويش)!! ..

ينفثُ دخان السيجارة باضطراب .. سيارة نقل تُطلق النفير من خلفه، تنعكسُ أضواءُ مصابيحها في المرآة .. تقتربُ سريعًا، يشيرُ الأسطى (حسنين) للسائق أن يمرَ من يساره، يُفسح له الطريق ؛ لكن السيارة النقل .. وبسرعةٍ رهيبة، تصطدمُ بالتَّاكسي من الخلف في عنف، فتنحرف (وش السعد) إلى اليمين وتدور حول نفسها في نهر الطريق، تمضي سيارة النقل في طريقها مسرعةً تختفي بين السيارات، يحاولُ (حسنين) السيطرة على السيارة مذعورًا، بكل مهاراته الاحترافية ؛ لا جدوى .. يلمحُ ضوءً قويًّا، يقتربُ في سرعةٍ جنونية، حافلة كبيرة نورُ مصابيحها باهر يُغشي الأبصار، يُطلق سائقُها النفيرَ مذعورًا بدوره .. لا يستطيعُ تفادي التاكسي ..

وكان آخر ما رآه (حسنين) : وجه مولانا (الدرويش) يبتسمُ راضيًا في ظفرٍ!! .. ومقدمة الحافلة تجتاحُ (وش السعد) باصطدامٍ رهيب .. فتتناثرُ حطامُ السيارتين في عنفٍ .. وتخترق الشظايا المعدنية الحادة جسد (حسنين) في عدة مواضع .. يستجدي نصيبه من الستر .. ويغرقُ عقله ؛ في ظلامٍ أبديٍ دامس. ◆

كُشَّـــــري

Koshary

خربشات سرياليـة

لـو وهبنى الله قـطعةً أخرى من الحياة ..

لما كنتُ سأقولُ كلَّ ما أفكرُ فيه ..

إنما كنت سأفكرُ في كلِّ ما أقـولُ .. قبل أن أنـطق بـه.

جابرييل جارسيا ماركيز

اليومُ هو السبت .. عندما يكون غدًا الخميس .. فمتى ابتلعني ذلك الأخطبوط .. المرصع بالماس والزمرد؟؟!!

تجرعتُ رشفةً من نفسِ الكأسِ الفارغةِ منذُ أيامٍ .. آلمني الطعم اللَّاذع ؛ فتجرعتُ رشفةً أخرى!!.

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى، حتَّى يراقُ على جوانبه : الصلصة الحارة .. أفرغتُ كلَّ محتويات السُلطنية فوق طبق الكشري أضفتُ الكثيرَ من الشطةِ .. لابُد من عصير الليمون وقليل من الملح .. وكثير من البُهارات.

امتطيتُ الحصانَ راكضًا في أرجاء الوادي، يتوقفُ عند شاطئ النهر ويرميني عن ظهره .. يصهلُ نافثًا النار من منخاره في عنف ..

لا أدري السباحة، رغم أني سباحٌ ماهر .. أشعلتُ سيجارةً .. سيجارةٌ أخرى لا تزال مشتعلةً بين أصابعي ..

أنفثُ دخان السيجارتين يتطايرُ نحو السماء .. أفكرُ بعمقٍ .. تذكرتُ أنني قد نسيتُ الأرز باللبن بعد الكشري!! .. ماذا سأفعلُ الآن وقد تلاشى الحصان؟؟!!

لا ليس السبت .. اليوم هو الثلاثاء .. عندما يكون غدًا الأحد فمتى التهمت شفتاي .. بقُبلةٍ عميقة .. شفتي الفاتنة الشقراء المثيرة .. ذات العيون البرتقالي؟؟!!

مصر هتفضل غالية علينا .. وكُنّا رجالة ووقفنا وقفة : بتنجان .. سكبتُ كلَّ محتوياتِ زجاجةِ النبيذِ .. فوق ثنايا جسدها المرمري أخذ الكلب يلعقُ النبيذَ نيابةً عنّي .. ثم أخذ الطبيبُ ينحتُ جسدَ الغريبِ بالأجنة والشاكوش .. وينعمَّه بالصنفرة.

نفثتُ دخان السيجارتين راسمًا دوائر ومثلثات ومربعات وعيون بحلقت بي كل العيونِ في آنٍ واحدٍ!! .. لا أندهشُ!! .. أُبادلُها النظرات .. والسحبُ تُمطر .. كُنافة وقمر الدين.

يفتلُ شاربَه ويُعلن انتهاء العذاب والظلم في كل جنبات الكون، ثم يضرب بسوطه ظهر الشابِ في عنفٍ .. يصرخُ في حرقةٍ من الألم : آآآآآه .. وهناك .. على جزيرةٍ سياحيةٍ بالقمرِ .. تمتدُ تلك المائدةُ المليئةُ بالاستاكوزا والكافيار والحمام المحشي.

عندما مات أبي لم أدفنه!! .. جذبوني بقوةٍ .. بعيدًا عن مماته .. وبعيدًا عن قبره .. بالكاد تملصتُ منهم .. آخذُ عزاه في الجنازة!!.

وانطلقت الزغاريد حين تزوج أسد الغابة من الثعلب المكار .. وتراقصت الثعابين!!!.

إنها خطبة الجمعة .. غدًا إذًا هو الأربعاء .. انشغلتُ في رسم الموناليزا والطائرة تحلقُ بعيدًا، تلاطمت أمواجُ البحور حول المركب .. رفعتُ الكأسَ الفارغةَ .. أفرغتُ خمرَها في حلقي ؛ فامتلأ الكأس!!.

سحبتُ نَفسًا عميقًا من السيجارتين .. عاهدتُ أن أكتمه بصدري إلى الأبد ..

تتألقُ مصابيحٌ صفراء وحمراء وزرقاء في الأفقِ .. أخذ عم صالح يصنعُ الإناءَ الفخاري من الطمي بمهارةٍ، ارتجفتُ من البردِ، أتخيل مذاق الأرز باللبن تذوبُ حلاوتَه فوق لساني، ووقف بجسده النَّحيل، وسمرته الحالِكة .. تحت الشمسِ الحارقة .. يتألمُ من الجوعِ .. أطفاله يتلوون على الأرض .. يحصدهم الموت ..

ارتفع صوت النَّاي .. يمتزجُ بنغماتِ الروك أند رول والسامبا .. تمتمت العجوزُ بكلماتها السحرية .. عيناها بيضاء واسعة بلا قرنية .. عاشت ملايين السنين .. ولن تهلك قبل ملايين أخرى.

أمسكني الصقرُ العملاق بمخالبه من قميصي .. طار بي حتَّى فُوهة البركان .. لم يحزن حين رماني وسط النيران المتأججة .. ولم أحترقُ وسط اللافا ..

دعونا نعملُ في صمتٍ .. ونُنجز : أي بطاطا والسلام!! ..

لم يختبئ اللصوصُ .. أو يتواروا عن الأنظار .. سرقوا كل الذهب .. أمام كلِّ الأعين .. في وضح النهار .. ثم احتلوا المساكن وطردوا أهلها.

أكلتُ القليل من طبق الكشري .. يحتاجُ إلى الكثير من الشطة.

وعندما هممتُ أن أسحبَ نَفسًا من دخان السيجارتين .. تذكرتُ أنني لم أنفُث النَفس الأخير بعد .. عاهدتُ أن أكتمه بصدري إلى الأبد .. ومازلتُ عند عهدي .. حتَّى تخدرت أوصالي وانتشت جوارحي .. يغرقُ عقلي في بحار المجهول.

يتعثرُ كياني .. يلتمسُ نورًا خياليًّا .. جدلًا من بناتِ الأفكار .. يُشرقُ ساطعًا .. يبعثُ أشعته السحرية .. تسري في العدم الحالك .. فتتلاشى ظلماتُ الأكوان. ◆

أزمـــــة ((شـوشـــــة))

((Showsha))'s Crisis

قصة واقعية حيَّة .. من لحمٍ ودمٍ!! ..

أنتَ تشعرُ أنك مجرَّد شخصٍ في هذا العالم .. بينما
يوجد دائمًا من يشعر .. أنك العالم بأسره.

جورج برناردشو

◆◆◆◆◆◆ (شـوشـة) ◆◆◆◆◆◆

كانت أجملَ امرأةٍ رآها (شوشة) على الإطلاق، أخذ يُحدِّقُ في عينيها البراقتين، فاتحًا فمَّه في بلاهةٍ واضحةٍ، شفتيها الشهيتين بلونِ حباتِ الكريزِ، رقبتها المنحوتة يحتضنها عقدٌ ذهبي مُرصَّع بالماس، تنسابُ أيقونته على صدرها، نهداها نافران كثمرتي أناناس - كاملتي النضوج - يسيلُ العسلُ في نهرٍ غائرٍ بينهُما، يدفعُ أشدَّ الرجالِ بأسًا إلى المخاطرة بلعقِ الشهد، يذوقُ حلاوتَه أولًا ؛ ولتنهار الدنيا كلها فوق رأسه بعد ذلك، لا يهم.

لم يكد (شوشة) يخطو ليلعقَ الشهد ؛ حتَّى أمسكه الحاج من ذراعه يجزُّ على أسنانه هامسًا :-

-إنت بتعمل إيه هنا يا حيوان؟! .. روح نزل طلبات ترابيزة 18.

يفيقُ من هواجسه يسيلُ لعابه، تتعلقُ عيناه كالمسحور بـ (ست الحسن والجمال) :-

- حاضر يا حاج.

ينطلقُ (شوشة) مسرعًا إلى المطبخ، يرُص الأطباق على الصينية، يعودُ ملهوفًا إلى الصَّالة فيتعلق بصره بها من جديدٍ، أمرٌ غريب!! رغم تحديقه المستمر بتلك الفاتنة منذ ولجت المطعم، إلا أنه ولأول مرة .. يلمحُ هذا الرداء الأحمر الخلاب الَّذي ترتديه، ولمن يكونُ اللونُ

الأحمر إنْ لم يُغطي ثنايا امرأةٍ بارعة الجمال كهذه؟! بكتفيها العاريين وصدرها البّض وساقيها المثيرتين هي والأحمر يمتزجان في تناسق، كأنَّ أحدهما خُلِق للآخر، يصطدمُ فجأة بأحد رواد المطعم، وتقع صينية الأكل بمحتوياتها على الأرض، تُلطخ الشوربةَ الساخنةَ، وسلطة الطحينة، والكفتة، والبقدونس ملابس الزبون :-

- ما تفتَّح يا أعمى .. كدة بوظت القميص .. إنت ضارب إيه يالا ؟

ينتفضُ الحاجُ مسرعًا نحوهما، يعتذرُ ويمسحُ اللَّطخات عن قميص الزبون، يرفعُ صوته ملوِّحًا لـ (شوشة) :-

- إيه يا بهيم اللي إنت هَبِتُه ده .. مخصوم منك 3 أيام ..

يُقبِّلُ (شوشة) يدَ الحاج، يستسمحُ إياهُ في تذلل، لم يكن يدري ما يحدثُ حقًّا، يذوبُ بصرُه، وجوارحُه، وكلُّ كيانه .. في بحرِ سيدته الجميلة .. وحين سمعت الفاتنةُ صوتَ الحاج .. همّت بالالتفات نحوهم .. فيُسرع (شوشة) ويديرُ ظهرَهُ .. حتَّى لا تراه (ست الحسن) في هذا الموقف المخزي .. ثمَّ ينطلقُ خارج المطعم كالطلقة .. يصفَقُ الباب في عنف .. يراقبه الحاجُ مذهولًا .. يضربُ كفيه في تعجب.

◆◆◆◆◆◆ (ست الحُسن والجمال) ◆◆◆◆◆◆

يشعلُ (شوشة) سيجارةً، يقفُ على النَّاحية الأخرى من الشارع، تراقبُ عيناه باب المطعم، إنَّها سليلةُ الملوكِ وأميرةُ الأميرات، الَّتي ظهرت فجأة، حتَّى تنتشله من حياته الرتيبة المكبوتة، إنَّها أجملُ من كل من تجرأ وأحضرهن لأحلامه ؛ بل هي أجملُ نساءَ الأرض، والكون، والعوالم الأخرى!! .. لم يدرِ ما تلك العوالمَ الأخرى؟؟!! .. يتسمّرُ مكانه حين تخرج امرأته برشاقةٍ من باب المطعم، لا يعرف ما الخطوة القادمة؟؟ .. ما الخُطة؟؟

- لا تجعلها تفارقُ عينيك .. تلك هي الخُطة أيها الأحمق ..

مبتسمة، ضاحكة، بسيطة هي، تُحركُ حقيبتها للأمام والخلف كالأطفال، تعبر الشارع نحوه بخطواتٍ واسعة، ثم تمرُ أمامه .. لا تراه .. تنظر لفستانٍ بواجهة المحلِ خلفه، (تُدندنُ) بنغماتِ أغنيةٍ أجنبيةٍ، تسيرُ برشاقة، تستمتعُ بصوتها الخافت .. تكادُ تخطو راقصة، خاصةً مع حركة الحقيبةِ الطفوليةِ، وبين الحين والآخر تتأمل فستان أو حذاء أو حقيبة من معروضات المحال. يشعلُ سيجارةً أخرى وينفثُ دخانها، يسيرُ خلفها بتأنٍ وحذر..

شابٌ آتٍ في مواجهة الفتاة، ينظرُ لها بانبهار.. يقتربُ منها :-

- هو فيه مُزز كدة يا عالم .. (يُقلد صوت توفيق الدقن) يا خراااابي!!

تبتسمُ وتمضي في طريقها غير عابئة. يتجاوزها الشاب، فيستدير ويتأملُ مؤخـرتها .. يطلقُ الصفير غامزًا بعينِه :-

- هوووووووه ده ..

يخطفُ (شوشة) الشابَ فجأةً، يجذبه من ملابسه بعنفٍ ؛ يضربه (شلُّوتًا مُعتبرًا) يقذفُ بالشابِ لثلاثة أمتارٍ بعيدًا :-

- امشي يابن الكلب يا واطي ..

يجري الشابُ (السيس) يُمسكُ مؤخرتَه ويقفز في الهواء، وسيدة الجميلات تبدو كمن تحْيَا دُنياها الخاصة، لا تلتفت، ولا تكادُ تعيرُ الآخرين إنتباهًا، أو رُبَّما .. لا تراهم في الأساس .. فهم غير موجودين .. أصلًا .. في عالمها ..

(الحقيقة أنها لا تراني أيضًا) حدَّث (شوشة) نفسه. يسيرُ خلفها يُراعي وجود مسافةٍ كافيةٍ لا تثير الشك. (وكيف لمثلي أن يحظى بامرأةٍ ينبغي أن تصبح ملكةً للقمر، تسجدُ تحت قدميها كُلُّ نساءُ الخليقة؟؟!!).

يشرُد بأفكارِه بعيدًا، يُقرّرُ أن يمتلكَ تلك المرأة الرائعة اليوم، الوسيلة .. العواقب ؛ لا يهم!! ستكونين مليكتي يا امرأة مهما كلفني الأمر، اليوم وليس غدًا .. يسمعُ صوتَ (هاتفٍ عميق) :-

- أن يا (شوشة) .. ارجع إلى المطعم .. بوس إيد الحاج .. شُغلك ومستقبلك .. أكل عيشك يا ابني ..

أشاح برأسه ينفضُ صوتَ (الهاتفِ العميق) من أذنيه ..

تلِجُ مدخلَ عمارةٍ فاخرةٍ، يقفُ لها (البواب) في احترام، يتبعها (شوشة) في صمتٍ، يرمُقه (البوابُ) بـ (نظرةٍ مُرتابة). تقفُ تنتظرُ المصعد، يُلقِ السيجارة أرضًا، يقفُ أمام أنثاه يتنسمُ شذاها، حتَّى الآن .. لا تراه .. يأتِ المصعد، يفتح (شوشة) البابَ سريعًا، تدخل وتضغط زر الدور السابع، يغلق الباب وينطلق المصعد للأعلى، ينظر إلى رقم 7 المضئ :-

- أنا كمان .. طالع السابع ..

تومئُ برأسها بابتسامةٍ خفيفة، كل ما بها جميل، إبتسامتها، إيماءتها، حتَّى عطرها، أجملُ رائحةٍ نفذت إلى أنفِ (شوشة) يومًا، يتأمل محاسن الجمال الرباني، إبداعه جل وعلا فيما خلق وصوَّر، لم تكد تبلغُ منه الإثارةُ ما لا يطيق، حتَّى توقف المصعد فجأة، وخرجت منه بخطواتها الرشيقة ..

لم تلتفتْ خلفها تفتحُ باب الشقة، جرس الهاتف الأرضي يرن بالداخل، تدخل مسرعةً وتترك الحقيبة على أقرب مقعد، تجري نحو إحدى الغرف .. وتنسى إغلاق باب الشقة، يخرجُ (شوشة) من المصعد .. يحدِّقُ في باب الشقة المفتوح، يسمع صوتها كالنغم تتحدثُ بالهاتف من الداخل :-

- أيوه يا ماما .. إتغديت ولسة راجعة حالًا ..

((يعود (شوشة) إلى المصعد، ينطلقُ مسرعًا للمَطعَم وقد عرف مسكن معشوقته الفاتنة، آملًا أن يُرضي الحاج بكلمتين ويُقبِّلُ يده ..)).

لكن (شوشة) لم يتحرك من مكانه أمام باب الشقة المفتوح ..

وهذا (لو تعلمون) .. أمرٌ في غاية الغرابة!! ..

◆◆◆◆◆◆ (تمَـــــرُد) ◆◆◆◆◆◆

مرةً أخرى إذًا :- ((يعودُ (شوشة) إلى المصعد، ينطلقُ مسرعًا للمَطعَم وقد عرف مسكن معشوقتَه الفاتنة، آملًا أن يُرضي الحاج بكلمتين ويُقبلُ يدَه ..)).

لكن (شوشة) أيضًا، لم يتحرك من مكانه أمام باب الشقة المفتوح، ينظرُ إلى الفراغِ حوله :-

- أنا مش هرجع المطعم تاني على فكرة.

ولا أدري، أنا، لمن يتحدثُ (شوشة) .. لا يوجد أحد!!

-إنت .. أيوة إنت .. اللي عمال تأّلِف من الصبح .. بكلمك إنت ..

- أنا؟؟!! .. آه صحيح .. ده أنا اللي عمال بأّلِف من الصبح .. بس إزاي تكلمني أنا؟؟!! .. الله!! .. والغريب .. إن أنا كمان سامعك!! .. يوم العجايب النهاردة!! .. طيب يا سيدي .. هترجع المطعم يا (شوشة) والجزمة فوق رقبتك .. اللي أنا أقوله .. إنت لازم تعمله ..

- طب ورحمة أبويا ما أنا راجع .. وريني بقى هتعمل إيه ..

- كدة؟؟!! .. طيب!! .. أنا هوريك ..

يضعُ (شوشه) أصابعه في فمه ويجذب خدوده للخارج في عنف .. ثم يشد شعره كالمجانين .. - يجذبُ خدودَه ويشُدُّ شعرَه - .. يصفِق (شوشة) كفيه في فرح .. - يصفق في فرح - .. يتشقلب (شوشة) على الأرض ويقف على رأسه .. - يتشقلب ويقف على رأسه - ..

((يعودُ (شوشة) إلى المطعم ليُقبِّلَ يد الحاج)).

لكنه لا يعود .. يقفُ منتصبًا ويقتربُ خطوةً من الباب المفتوح :-

- بقولك مش هرجع يعني مش هرجع .. شوف .. أنا كنت تحت أمرك من الأول .. خليت الحاج يمسكني وأنا رايح أدوق الشهد في المطعم .. وقلت ماشي .. خليتني أوقع صينية الأكل عالزبون وطلعتني زي الأهبل وسط الناس .. وقلت معلش .. مشتني وراها زي الصيع والمراهقين .. وقلت ما يضُرش .. إنما تجيبني لحد هنا .. وتقوللي ارجع .. ده عشم إبليس في الجنة ..

- بس إنت لو دخلت الشقة .. القصة مش هيبقالها معنى يا (شوشة) .. المضمون هيختل ..إنت شايف .. هي جميلة أوي .. غنية .. وألف واحد من عين الأعيان يتمناها .. ويجيب الدنيا كلها تحت رجليها .. هي بقى .. هتسيب كل دول وتبُصلك إنت؟! طب بأمارة إيه؟! .. وإنت حقير وغلَّبان .. وبتجري على أكل عيشك بالضالين .. الصح إنك تنكسر وتعترف بضآلتك .. وترجع المطعم .. تراضي الحاج بكلمتين وتبوس إيده .. وتقعد مع نفسك تتجرع الألم والمرارة .. وتأسى على قدرك ومصيرك ..

- أتجرع المرارة إنت .. مضمون إيه اللي هيختل وحياة أمك؟! ليه يا ربي توقعني في مؤلف غبي كدة؟؟ .. بس على مين؟! .. ابقى قابلني لوسمعت كلامك بعد كدة .. وريني بقى هتجرعني المرارة إزاي؟؟!!

- طيييب : أصبح البردُ قارصًا، يخلعُ (شوشة) ملابسه كلها، حتَّى اللباس .. - يخلعُ ملابسه - .. تنقطع الكهرباء عن العمارة، وتخرج

الفاتنة من الغرفة لا ترى شيئًا في الظلام، تغلق باب الشقة وتضيءُ الشموعَ .. (أحسن .. عشان (شوشة) ما يتهورش!!) .. يرتابُ (البواب) فيُقرر أن يصعد السلالم حتَّى الدور السابع ؛ ليطمئن على الساكنة الجميلة .. عايز إيه تاني يا (شوشة)؟؟!! .. أنا هوريك ..

هيه .. وكمان : تنهمرُ الأمطارُ الغزيرة بالشوارع ؛ بل وتنهمرُ أمام باب الشقة تُغرق الدور السابع، يصحبها البرق والرعد ؛ وتختفي شمسُ المغيب .. خلف السحب الداكنة.

يقف (شوشة) عاريًا تحت المطر، يرتعدُ من البرد، يحاولُ أن تعتادَ عيناه الظلام :-

- تقطع الكهربا .. تقلعني ملط .. تعمل مطرة .. برد .. رعد وبرق .. ولا يهمني.

- مش إنت يا (شوشة) بتقولي أوريك؟؟!!.

- (شوشة)؟! حد يسمي بطل القصة بتاعته (شوشة)؟! إيه (شوشة) ده؟! .. معناه إيه يعني؟! .. ليه ما سمتنيش (حازم .. سيف .. سامح .. خالد)؟؟!! .. اسم ظريف .. زيك كدة .. من أول ما قُلت في أول القصة : نهر عسل بين النهدين .. وإشي كريز على شهد على أناناس .. وأنا قفشتك .. قُلت : بس .. المؤلف ده .. أصلًا فكهاني ..

أسلوبك على مفرداتك على خيالك كدة .. كلهم على بعض .. مش نازليلي من زور ..

- والله أنا حر .. أسميك (شوشة) .. أسميك (شنكوشة) .. أنا اللي عملتك .. وأنا اللي أسميك على كِيف كيفي. المهم الحوسة السودة .. اللي احنا واقعين فيها دلوقتي دي .. يا ابني استهدى بالله .. وصلي عالنبي .. وارجع المطعم .. وليك عليا هغير إسمك (شفيق .. شريف .. شعبان .. شوكت) .. اختار الاسم اللي يعجبك..

- هو كل الأسامي عندك بالشين؟! .. كان من الأول يا بجم يا عديم الإحساس .. خلاص بقى .. ماعدش ينفع .. بقى عمري 32 سنة دلوقتي .. استهدى بالله إنت .. واكتب : ((فتحت المُزة الباب .. حبته .. حضنته وباسته .. أغرته وقلعت هدومها ..)) .. خليك متعاون كدة وحَبُوب .. مش هتخسر حاجة يعني .. كله شوية حبر على ورق ..

- اخرس قطع لسانك .. شخصية قليلة الأدب .. ماعدش على آخر الزمن .. غير شخصية خيالية .. من بنات أفكاري .. هي اللي تقولي أكتب إيه!!

- ابقى اكتب قصة تانية .. اختار شخصية خيالية من بنات أفكارك برضو .. سميها أي اسم غريب بالشين .. يخطر على بالك .. وجرعها الألم والمرارة براحتك!! .. أمَّا أنا .. لأ .. مش هتجررررررررع .. مش هتجرع ..

-إنت اللي هترجع المطعم يا (شوشة) .. تبوس إيد الحاج وتتجرع المرارة هناك ..

- وحياة أمك يا شيخ ما هتجرع حاجة.

يرتدي (شوشة) ملابسه، وتتوقف الأمطار بالدور السابع.

- خلَّصني بقى .. توكل على الله إنت وسيبني أخبط عالمزة الصاروخ .. اللي إنت حطِّتها قدامي .. وبعدين بتقولي ارجع .. ارجع إنت .. وانا هبقى أحصلك .. يلا توكل على الله.

-إنت بتوزعني يا ((شوشة))؟! .. حااااااضر!! ..

◆◆◆◆◆◆ (البـــواب) ◆◆◆◆◆◆

يصعدُ (البواب) آخر درجات السلم، وصولًا للدور السابع، يلهثُ بشدةٍ واضعًا يده على صدره، تضيءُ الأنوارُ فجأة، فيرى البواب (شوشة) لا يزالُ يرتدي باقي ملابسه :-

-إنت بتعمل إيه هنا يا أخينا إنت؟! .. وقالع هدومك ليه؟! .. وإيه المية اللي مغرقة الأرض دي؟! .. إنت جاي لمين هنا؟! ..

- هه.. أنا جاي للأستاذ (يـــ... يــعقوب) ..

- أستاذ (يعقوب)؟؟! .. (يعقوب) مين؟؟!! .. مفيش حد في العمارة كلها اسمه (يعقوب) .. امشي ارجع المطعم أحسنلك .. بدل ما أبلغ البوليس ..

يُحدِّقُ (شوشة) في البوابِ مذهولًا :-

- أرجعععععع المطععععم؟؟!!..

نظر له البواب بعينين (بيطُقوا شرار) :-

- أيوة .. ترجع المطعم .. تبوس إيد الحاج .. وتتجرع الألم والمرارة هناك .. امشي .. يلا روح ..

- حتَّى إنت بتقولي أتجررررع .. طبعًا ما إنت لازم تكون تبعُه .. أُمال لو ماكونتش حياالله شخصية هامشية .. كنت عملت إيه؟؟!! .. حِتة كومبارس صامت .. تشوفني وأنا داخل .. وتبُص (نظرةٍ مُرتابة) وبس .. لولا إني شدِّيت مع الحمار اللي بيألف .. ما كانش خلَّاك تطلع السلالم أصلًا .. وأكيد ما كونتش هتظهر تاني في القصة دي!! .. إنما دلوقتي .. تلاقيه كتبلك فصل كامل باسمك!! .. ومسميه (البواب الشرس) مثلًا!! ..

- قصة إيه وكومبارس إيه وشرس إيه ؟؟!! .. إيه يا جدع التَّخريف اللي إنت بتقوله ده؟! .. إنت مجنون ولا إيه؟؟!! .. هتنزل تروح المطعم ولا أطلب البوليس؟؟!!

- روح إنت بس ربي عيالك .. ولا أقولك .. استنى .. عشان ما تطلعش تاني فجأة كل شوية .. خُد تعال ..

يجذبُ (شوشة) البوابَ من (لباليبه)، يُمزقُ جلبابه الأبيض، ويقيدُه بشرائح القماش، يديه خلف ظهره، ثم ينزع عنه العمامة ؛ يكمم بها فمه في إحكام، لم يكتفِ بذلك ؛ بل ألقى بالبواب المسكين أرضًا، ربط قدميه ببقايا الجلباب، وكمم عينيه وأحكم الرباط حول أذنيه، عسى ألا يسمعُ شيئًا .. ثُمَّ حمله ونزل به بضع سلالم حتَّى ألقاه على (البسطة) بين الدورين، وقفز عائدًا فوق السلالم في سرعة. وقف أمام باب الشقة يتعجبُ من الطاقة والعنفوان الَّذين (حطُّوا عليه فجأة!!) .. ينظرُ إلى الفراغ .. (حيثُ أكون) .. في تحدٍ .. يعدلُ هندامه ويمشط شعره بأصابعه في سرعة .. ثم يمدُّ يده نحو جرس الباب ..

تتسمّرُ يده في منتصف المسافة نحو الجرس، يقفُ (شوشة) كالتِّمثالِ بلا حركة لمدة دقيقتين، لا نفَس، تمامًا كالتمثال ؛ بل لثلاث دقائق كاملة، يختنقُ بشدة، يستميتُ عاجزًا عن التقاط أنفاسه، ثم يشهق، ويلهث، ويتنفسُ الهواء عميقًا في سرعة ..

((يعودُ (شوشة) إلى المصعد، وقد عرف مسكن معشوقته الفاتنة، ليُرضي الحاج بكلمتين ويُقبّلُ يدَه ..)).

لا يتحرك (شوشة) من مكانه.

- طيييب!!..إنت اللي جبته لنفسك يا (شوشة) ..

يقفُ (شوشة) كالتِّمثالِ بلا حركة، لأربع دقائق، الثواني تمرُ بطيئةً كأنها العمر كله، لا نَفس، خمس دقائق يا ((شوشة)) عسى أن تتعظ، كالتِّمثال بلا حركة، تتشوش الرؤية أمام عينيه، لنجعلها ست دقائق، رئتاه تصرخ طلبًا للأوكسجين، يكاد يقعُ مغشيًّا عليه، ثم يشهق، يلهثُ وقد احمرَّ وجهه، يلتقطُ أنفاسَه عميقًا في سرعة، يسعلُ وينظر إلى الفراغ في انكسار..

((يعود (شوشة) إلى المصعد، في طريقه للمطعم، يُرضي الحاج بكلمتين ويُقبّلُ يده ..)).

لا يخطو((شوشة)) قيد أنملة، يتسمّرُ أمام باب الشقة.

- طب إنت عايز إيه يا (شوشة)؟!

ينظر (شوشة) إلى أعلى بعينين دامعتين، يتحدث بصوتٍ عميقٍ هادئ، يكتسي بالحُزنِ والشجن :-

- كل حاجة هنا حقيقية .. العالم اللي في خيالك .. هنا حقيقي .. حي .. بكل تفاصيله .. الشوربة سخنة وبتحرق بجد .. الواد السيس .. اتضرب شالوت مُعتبر بجد .. البواب ده كان تعبان من السلم بجد

.. وعينيه كانت فعلًا بتُطق شرار حقيقي .. لما قطعت أنفاسي من كام سطر .. كنت هتخنق وأموت بجد .. كله حقيقي .. عالم كلنا عايشين فيه .. وبيحصلنا فعلًا كل حاجة إنت بتكتبها .. عالم واقعي .. بنحس فيه بكل الآلام والمواجع .. زي ما إنت بتوصفها بالظبط .. أنا .. بتخليني كل يوم أبوس إيد الحاج واتذللُّه .. (شوشة) بتاعك .. ماعندوش كرامة ..

- معلش يا (شوشة) .. مش قصدي والله .. إنما فليكن .. آسف يا سيدي .. هديك شوبّة كرامة .. وشوبّتين عزة نفس .. بس ترجع المطعم دلوقتي .. وسيبك بقى من الست دي ..

- الست دي .. برضو حقيقية .. يمكن أجمل كتير من اللي في خيالك إنت شخصيًّا!! .. وإنت قلتها من الأول : (أجمل امرأةٍ رآها (شوشة) على الإطلاق) .. بارعة الجمال لحد مش ممكن توصفه بكلامك .. أنا بقى اللي شايفها حقيقة بعيني .. وإنت بتتخيلها وبس!! .. وأنا متأكد إنَّها أجمل من أي خيال .. ممكن أي عبقري يوصفها بيه!! .. طب إنت عمرك فكرت لون عينيها إيه؟؟

- لون عينيها ؟؟!!.. لون عينيها (عسلي).

- لون عينيها كان (أزرق) .. بس بعد ما قُلت إنت (عسلي) .. أكيد بقى (عسلي) .. شُفت بقى إزاي أنا شايفها .. وإنت لأ؟؟ .. أقدر ألمسها .. إنت لأ؟؟!! ..

- والله فهمتك يا سيدي .. بس برضو هتيجي على عواطفك شوية .. ترجع المطعم .. تتحطم مشاعرك .. تتجرع المرارة .. تبقى القصة مأساوية .. حاجة تراجيدي كدة .. تدمَّع عينين القراء .. وتعجب النقاد .. ويا سلام يا (شوشة) .. لو تعمل معايا واجب وتنتحر النهاردة .. يا سلاااام!! .. يبقى أحلى واجب والله .. فهمت كدة؟؟ .. يلا بقى اتفضل .. أنا مش عارف بتكلم معاك ليه أساسًا؟؟!!

- لأنك مش قادر ترجعني المطعم غصب عني .. مش قادر تجرعني الأسى والمرارة بالعافية .. أنا حبتها حب حقيقي .. أكبر كتيير من خيالك المحدود .. وممكن أعمل المستحيل عشانها .. ممكن أموت فداها ..إنت تقدر تقسى عليا .. تعذبني .. ممكن لوحبيت تموتني .. هتموتني .. (بنبرةِ صوتٍ عاليةٍ) أنا بقى مش هتحرك من هنا أبدًا .. إلا أمَّا أشوفها .. أقولك .. أنا هعيش بقية عمري معاها .. سيبنا في حالنا بقى يا أخي وغور إنت.

- كمان بتزعقلي .. طب وبعدين .. لازم أختم القصة .. وبرضو مش هسيبك تعمل اللي في دماغك يا (شوشة) .. أنا عايزك بطل يتألم .. ويتجرع العذاب والمرارة!!

- طب آخر حاجة هقولهالك .. أكيد اتمنيت يطلعلك جنِّي في يوم من الأيام ويقولك : شُبّيك لُبّيك .. كل اللي تطلبه بين إيديك .. دلوقتي .. إنت الجنِّي بتاعي .. ممكن تحققلي كل اللي أتمناه .. ومصيري كله

بين إيديك .. اعتبر نفسك (شوشة) .. اللي هو حتة منك .. و(شوشة) ده – لو ما كونتش واخد بالك - يبقى إنسان .. (حقيقي واقعي حي .. من لحمٍ ودم) .. عنده مشاعر جياشة وأحاسيس مرهفة .. وكل اللي طالبه من الجنِّي سطرين تلاتة .. مفيش حد يكتبهم غيرك .. لو تتمنى السعادة لنفسك .. حقق السعادة لـ (شوشة)!! ..

ياللعجب .. كأنه صوتُ (الهاتف العميق) يتردد صداه بأذني أنا هذه المرة :-

(لو تتمنى السعادة لنفسك .. حقق السعادة لـ (شوشة)!!)

◆◆◆◆◆◆ (هاتف عميق) ◆◆◆◆◆◆

يترددُ صدى الصوت بأذني :-
(حقق السعادة لـ (شوشة) .. السعادة لـ (شوشة) ..).

- والله يا (شوشة) قطعت قلبي .. ووجهة نظرك .. تُحترم حقيقي .. وبصراحة .. أنا معجب أوي بعنادك وإصرارك .. ماشي يا عم .. نبوَّظ أم القصة عشان خاطرك .. نكتبلك نهاية وصاية معتبرة .. من أخ لأخوه .. أنا هظبطّلك .. ريلكس إنت بقى .. وعيش الحياة ..

يُسرعُ (شوشة) إلى (البَوابِ)، يفكُ وثاقه ويعتذر له، يُقبّل رأسه، يسامحه (البَوابُ) وينسى كل ما حدث على الفورِ، ينطلقُ نازلًا السلالم، يلملمُ ملابسه الممزقة، ويدعو لـ (شوشة) بكل التوفيق والسعادة ورفعة الشأن.

يضغط (شوشة) زر جرس الباب، تفتحُ معشوقته في لهفة، أروع نساء الكون - (الست .. اللي باظت القصة عشان خاطر عيونها (العسلي) .. هاه .. (العسلي) ..) - تظهرُ على ملامحها علامات الإنبهار بوسامة هذا الشاب، ممشوق القوام، يرتدي أشيك ملابس الماركات العالمية من محال روما، تفوح منه كالشذى النفاذ، أرقى عطور باريس، يحتضنُ باقةَ ورودٍ خلابة، من أروعِ الزهورِ النادرة ..

تلتقطُ باقةَ الزهور مأخوذة، لا ترمشُ عينيها (عسليةَ) اللَّون - (لونها عسلي يعني) - تتأملُ ملامحه الوسيمة، الَّتي تنطق بالرجولة ؛ تعشقُ عينيه العنيدتين من النظرة الأولى، تحتضنه بشوقٍ، ويحتضنها بعشقٍ، يُغلقُ خلفهما باب الشقة .. يطفئ الأنوار..

تتراقصُ أضواءُ الشُّموع في الظلام، تبعثُ أشعتها الدافئة، تغمرُ العاشقَّين بالنَّشوة، يتألقُ اللهيب، ترتجفُ القلوبُ، تذوبُ الأجسادُ ثائرةً، تتمرغُ عشقًا، يتوحدُ كيانُها، تفيضُ الشهوة تروي الشفاه العطشى، تتسارعُ الأنفاسُ، تفيضُ البراكينُ بالحممِ .. يرتعشا وجلًا في ذروة الشبق .. وتفور (كنكة) القهوة فوق الموقد .. (عالمتغطي أهوه عشان النُقاد)..

ولم تمضِ أيامٌ قليلة، حتَّى تزوجا في حفلٍ هائل، وينعمُ (شوشة) بثراءٍ مفاجئ، حين يتوفي عمَّه بالخارج، فيرثَ عنه أموالًا طائلة، ويغير اسمه لـ (شمندورة) .. ويصبح مستر (شمندورة) .. من أثرى أثرياء الشرق الأوسط .. (ولو إنها واسعة شوية.. بس ماشي!!).

يسقطُ المحبوبان في بحر العشق والهوى، تتأججُ مشاعرهما بالحب الأسطوري، ويُنجبا ولدين وبنت، آياتٍ في الجمال الرباني.

بل .. يتم سحق داعش بكل الدول العربية، وتكونُ نهاية الإرهاب، وبداية السلام العالمي احتفالًا بمستر (شمندورة) ومعشوقته

الفاتنة، ويسودُ السلامُ أرجاءَ الأرض ؛ إلا من مأساةِ (عازفة الكمان) الفرنسية .. تلك قصةٌ أخرى ..

عاشت الأسرة في غاية السعادة والأمان إلى الأبد، ناعمين برغد العيش، لا يعكرُ صفوَهم أيُ مكروه.

- أي خدمة يا (شمندورة) بيه .. تُأمُر بحاجة تانية يا عم؟.

- (العسلي) مش لايق عليها يا أعمى النظر .. رجعلي لون عينيها (أزرق) زي ما كان ..

- وبعدين بقى .. بعد كل السنين اللي مرِّت دي؟؟!! .. طب والله يا (شوشة) .. ارجعك المطعم .. تبوس إيد الحاج .. وتتجرع الألم والمرارة هناك!! ◆

عازفـة الكمـان
Violinist

بـاريـــس 2015

تألمتُ كثيرًا بكتابة تلك القصة ..
وأعتذرُ إن تألمتَ بقراءتها ..
لا أنصحُ بالقراءة .. ذوي القلوب الضعيفة.

موسيقى ملائكيةٌ حالمةٌ .. تشدو في أرجاء المسرح، تسري في الأرواح، كشعورٍ يفيضُ بالنشوةِ العارمةِ، سعادةٌ وراحةٌ وهدوءٌ، سلامٌ يغمرُ كلَّ الكونِ بتلك النَّغمات السَّاحرة. تخطفُك عبر الأنفاسِ الهادئةِ إلى عالمٍ آخر، بارع الحسنِ، ينبضُ بالشجن، يتألق بملايين النُّجوم اللامعةِ، تعزف بتناغم يجتاحُ أوصالك، يخفق قلبك مرتجفًا، تترك الموسيقى تتخللُ أعماقك، تصبغُ كل ما حولك بألوان الشفق، المتدرجة نحو الأفق البعيد، اللانهائي.

عازفةُ الكمان، شابةٌ بارعةُ الجمال، دائمًا ما تُغمض عينيها حين تعزف ؛ لكنها تفتحُ عينيها هذه المرة ؛ تبحثُ عنه بين الجمهور. تتحاشى الأضواء القوية المسلَّطة على المسرح تُغشي بصرها، تنظر حيث يجلس هو بالصَّف الرابع. حجزت له المقعد .. بأقرب ما يمكن إلى المسرح .. إنه هناك يبادلها النَّظرات، عيناه تتألقُ بالعشق كعادته، تبتسم له ثُمَّ تُغمضُ عينيها، تسبح في ملكوت الأنغام السحرية، وتندمج بالعزف حالمة.

ركع على الأرض تحت قدميها، وسط الحديقة العامة، يقدّم لها الخاتم ويسألها الزواج، ثم أثار الحشد نحوها في جنون .. يتوسلون أن تقبل!! .. لم تتمالك نفسها حين حمل إليها طفلةً صغيرة، تُعطيها باقة زهور خلَّابة، وتخبرها أن أفضل ما تفعله عازفة كمان على الإطلاق، أن تتزوج من هذا الرجل الوسيم!! .. وافقت على الفور.

احتضنها بقوة، صفَّق كلُّ زائري الحديقة أكفهم بانبهار، ضحكت في خجلٍ حين هنئها الأغراب آملين لهما السعادة.

تتأملُ خاتمه الماسي يُرصِّعُ إصبعها، تتنهدُ عميقًا، تختلسُ نظرةً أخرى إليه، هي أيضًا تحبه، تعشق براءته، نظراته الصادقة، جنونه، حاولت أن تتخيل أطفالهما : بالتأكيد رائعين مثل أبيهم، مرهفي الحس مثل أمهم .. تعجبت مبتسمة أن تصبح أُمًّا ...

تسمع دوي طلقات الرصاص الصَّاخب فجأة .. يعلو فوق صوت الموسيقى .. ويغتالُ وابلٌ من النيرانِ كلَّ أحلامها.

أربعة مسلحين متشحين بالسواد، حتَّى الرَّايات الَّتي ترفرف خلفهم، تبدو كجناحي غراب أسود، يحملُ رائحةَ الموتِ الكريهةِ. يطلقون نيرانَ مدافعهم الآلية في وحشيةٍ على الجمهورِ والعازفين، وكأنه مشهدٌ دمويٌ لا يعرفُ الرحمةَ. تنطلقُ الرصاصاتِ، تشُّق الهواء بسرعتها الفائقة، تخترق أجساد الأبرياء وتدفعهم للخلف في عنفٍ، تسقط وسط الفزع جثثًا غارقةً في بحورِ الدماءِ وقطع اللحمِ البشري.

تُهشمُ رصاصةٌ رأس (المايسترو)، تتناثرُ أجزاء من مخِّه على وجه عازفة الكمان وتُلطخ ملابسها. تقفُ مصدومةً لا تصدق ما يحدث، لم تشعر بالألم حين اخترقت الكمان رصاصةٌ أخرى أصابت كتفها،

تنتزعها الرصاصةُ من مكانها فتسقط أرضًا .. تتدفقُ الدماءُ تغطي صدرَها.

يخترقُ عاشقها الحشودَ الَّتي تعدو في كل مكانٍ .. يتخبطون مرعوبين .. تحصدهم الرصاصاتُ. يعتلي المسرح راكضًا نحوها، تصيبه رصاصتان في ظهره. لا تختفي إبتسامته، أو نظراته العاشقة، يزحف نحوها، يلتقط أنفاسه في صعوبة. تبكي بحرقةٍ حين ترى الدماءَ الغزيرة الّتي تندفعُ من جروحِ ظهره، تراقبُه يقترب منها زاحفًا، يمُد يده نحوها في يأس ..

تحبسُ أنفاسها ؛ يصعدُ أحد المسلحين إلى المسرحِ، يُطلق الرصاصَ على الأحياءِ والمصابين، تتجمدُ نظرةُ عينيها على حبيبها، والمجرم يقفُ فوقَ جسده، يركله بحذاءه فيتأوه العاشقُ مستميتًا في الزَّحفِ، يُصوّبُ المدفع نحو رأسه، ويُطلق رصاصةً قاتلةً بلا اكتراثٍ .. ثم ينتقلُ لغيرِه ؛ تتلاشى الابتسامة، تنفجرُ النظرة العاشقة بين الموتى، تتبعثرُ أحلامها إلى الأبد ..

(العدل، الخير، الجمال) .. (الرحمة، الحب، السلام) .. كُلَّها معانٍ خاوية .. تسيلُ ذائبةً وسطَ الدماء .. في أعماقِ مذبحةٍ همجية .. كمعاركِ العصور السحيقة ..

تتعالى الصَّرخات، تمتزجُ بدوي الرصاص، تمتزجُ بنظراتِ الرُّعب والهلع .. خوفًا من النهاية المفزعة. تتناثرُ الجثث في كلِ مكانٍ. عازف التشيللو يختبئ تحت جثة المايسترو .. ملطَّخًا جسده بالدماء.

لا تزالُ تتأملُ جسدَ حبيبها المسجي بلا رأس، لا تدري أين ذهبت عيناه؟؟!!

يُطلق المسلحُ الرصاصَ بعشوائيةٍ على مجموعةٍ من الجثثِ، يلتفتُ إليها فجأة .. تبادلُه نظرةً خاويةً، يُحدِّقُ بعينيها .. تُجاهد ألا ترمش ؛ حتَّى لا يعرفُ أنها حيَّة. يقتربُ منها المسلَّح ؛ تكتمُ أنفاسها .. كجثةٍ هامدةٍ .. جاحظةَ العينِ .. خاويةَ النظرةِ. يرى الدِّماء تُغطي صدرها. يضربُ رأسها بكعبِ سلاحه في عنفٍ ؛ تتألمُ في صمتٍ، لا تتحركُ، تتسارعُ دقاتُ قلبِها في قوةٍ .. تتمنى ألا يصلُ صوتها إلى أذنِ السفاحِ. لا تزالُ تحبسُ أنفاسَها، يكاد صدرها ينفجرُ رغبةً في الهواءِ، ولاتزالُ جاحظةَ العينِ، تُولِّي وجهها شِطرَ عاشقها الغارق في الدماء.

ينحني السفاحُ نحوها .. ينفخُ زفيرَه في وجهِها .. بصعوبةٍ شديدةٍ .. تقاوم رغبةً مُلحَةً أن ترمش .. أن تعطسَ .. أن تتنفسَ .. تقاومُ وقد تخشَّبَ جسدها ..

تسمعُ صوتَ أنفاسٍ لاهثةٍ تنطلقُ فجأة، عازف التشيللو، يلتفتُ له المسلح، يدفعه بالمدفع في صدره، ويرشُقه بوابلٍ من الرصاص

يُغربل جسده ؛ ينتفضُ في عنفٍ، تهوي جثته تنفجرُ بالدماء، تمتزجُ بثنايا اللوحةِ الهمجيةِ.

يعاودُ المسلحُ النظرَ إليها متشككًا، يراقبُ صدرَها بُرهةً ؛ لا حركة. يضعُ يده أمام أنفها ؛ لا نفس .. يرفع فوهة مدفعه تمامًا أمام عينيها ..

أصداءُ موسيقى جنائزية حزينة تغزو كيانها، تختنقُ في صمتٍ مُطبقٍ، تتسارعُ دقات قلبها أكثر وأكثر، تُحدِّقُ في فوهة المدفع بنفس النظرة المتجمدة، كجثةٍ هامدةٍ .. جاحظة العين .. خاوية النظرة .. يضغطُ المجرم الزّنادَ ؛ تسمعُ صوتَ تكةٍ معدنيةٍ، ولا تنطلق الرصاصة!! .. تتجمدُ .. لا ترمشُ جفنيها. يضغطُ الزنادَ مرةً أخرى ؛ نفس التكة المعدنية الخاوية. يتصلبُ جسدَها .. فرغت خزينة المدفع .. ينطلقُ المسلحُ هاربًا نحو رفاقه .. تتبعهُ ببصرها حتى يختفي .. تتسمرُ نظرتها الخاوية كالتمثال للحظاتٍ .. تشهقُ شهقةً قوية كمن عاد من الموت .. تسعلُ وتلتقطُ أنفاسها لاهثةً .. تزحفُ حتى تلمس أنامل عاشقها الدامية .. باردةً كالثلج .. تنفجرُ دموعها فجأةً ؛ تنتحبُ منهارةً ببكاءٍ مرير!!.

◆

عــرشُ (الكبيــــر)
(Elder’s) throne

الخوفُ هو المصدرُ الرئيسي للأساطيرِ ..
هو نبعُ القسوةِ ..
والانتصارُ على الخوفِ .. بدايةُ الحكمةِ.
برتر اند راسل

◆◆◆◆◆◆ (كِسرةُ خُبزٍ) ◆◆◆◆◆◆

كان (سبع الليل)، قاسِ القلبِ، عديمَ المشاعرِ، كحيوانٍ بدائيٍ، فائق القوة، يتوحشُ في القرية، يُلبي حاجاته ونزواته الهمجية، ويستغلُ خوفَ الفلاحين، من شراسته وفتكه، فيغتنم ما يحلو له من الخيرات. يستمتعُ بنظراتِ الحذر والانكسار والرعب، تُطلُ من عيونِ الضعفاء من حوله، فيزدادُ قسوةً وضراوة.

القمرُ هلالٌ ذو ضياءٍ شاحب، والليلةُ سوداء مظلمة. شواهدُ القبورِ شامخةً فوق قمة التّل القريب، تخترقُ عنان السماء، تحجب أشعةَ القمر الواهن، وتنكسرُ الظلال الباهتة، المهيبة، على شجر الصبار والسنط، والنباتات الشيطانية المتناثرة، بسفح التّل الرملي المقفر : تلُ المقَابِر.

على حدود حقول الذرة، تحت شجرة الجميز العجوز، قريبًا من تلِ المقابرِ، يجلس ثلاثتهم ..

يضعُ (عرفة) قطعةَ حشيشٍ فوق جمرِ حجرِ الشيشةِ. وتميلُ (الغازيَّة) تحتضنُ (سبع الليل)، تهمسُ في أذنه وتضحكُ بخلاعة، تُقبّلُ شفتيه. ترقصُ بإغراءٍ على أنغام أغنية تنبعث من الراديو الترانزستور، تتلوى تُلصقُ جسدها به، يحتكُ ثدياها الدافئان بصدره ؛ يضحكُ مُجلجلًا بصوته المخيف، يستشعر شهوته تتأججُ بالنيران، يتحسسُ عضوه المنتصب، يتخيلُ مواقعة (الغازيَّة) عاريين، وسط حقول الذرة.

يدفعُ (عرفة) لايَ الشيشة نحو (سبع الليل) ؛ فيسحب نَفسًا عميقًا، يكتمه بصدره حتَّى يحمرَّ وجهه، ثُمَّ يُخرجه نافثًا سُحُب الدخان الكثيفة، تُعمي الأبصار، يتجرّعُ نصف زجاجة البيرة برشفةٍ واحدة، ينتشي سُكرًا، خُدر الحشيش يسري بالعروق، يلتفت لـ (عرفة) بنظرةٍ متفحصةٍ عميقة :-

- يعني هما قالولك حدا البير .. حتَّى (سبع الليل) .. ما يقدرش يخالف الوصية؟!

كان (عرفة) ؛ مثل كل فلاحي القرية، يخشى سطــوة (سبع الليل) وبطشه. رآه عديدًا، ينقضُ فيفترس أحدَ الفلاحين، دون أن يجرؤ آخر، أن يمسَّهُ بسوءٍ ؛ فآثرَ (عرفة)، أن يحيا في ظلِه، يتقي شره .. ويدفع أذاهُ، عن نفسه وأهله، كيفما استطاع لذاك سبيلًا :-

- إيوة والمصحف الشريف.. قُصاد دوار (العمدة الكبير) حدا البير .. الله!! .. وفيها إيه يعني؟؟!! .. من جدود الجدود .. عُمر ما حد خالف الوصية. واللي اتجرأ وخالف .. راح فطيس .. حكى الشيخ (محفوظ) .. وحكى أبوه وجدوده قبليه .. وهيحكي ولاده وأحفاده بعديه .. طول ما هُمَّا اللي بيحرسوا القبور .. هيفضلوا يحكوا الوصية .. هيه .. ما تاخُدش في بالك يا (سبع الليل) .. اشرب اشرب ..

تتوقفُ (الغازيَّة) عن الرقص فجأة، تضربُ صدرها شاهقةً، تُحدِّقُ في القبور .. تصرخُ برعبٍ :-

- يا لهوي!! .. اتهيألي وأنا برقص .. بسم الله الرحمن الرحيم .. كأن عين خضرة وسط القبور .. بتبُص علينا .. وتراقبنا من بعيد.

يلتفتُ (سبع الليل) إلى المقابر فوق التَّلِ بعينٍ نصف مغمضة، يبتسمُ ساخرًا دون اكتراث، ينظر (عرفة) حيث تتطلعُ (الغازية) : لا يرى شيئًا غريبًا، فقط القبورِ، شواهدها وظلالها، حقًّا تبدو مخيفة، تبعثُ الرعبَ في النفوسِ، يرتعشُ صوته :-

- ما تفضونا بقى من السيرة الهباب .. اللي بتلَبِش الجتَّة دي ..

تتعلق (الغازيَّة) بكتفِ (سبع الليل) في خوفٍ ودلالٍ :-

- والنبي يا سي (سبع الليل) .. بلاش غيط الدُرة الليلة دي .. تعال داري .. الفرشة أريَّح .. وأمي نايمة.

يتجاهلُ قولها، يتفحصُ محتوياتِ طبق (المَزَّة) : ترمس، خيار، طماطم، و(كِسرةُ خُبزٍ) ناشفة، وحيدة. يلتقطُها، يُقلبُها بين أصابعه، يتأملُ كم هي صلبةٌ .. كالحجر!! .. (يبتسمُ ساخرًا) .. صلبةٌ كوصية الشيخ (محفوظ) وأجداده، لم يكسرها من قبل، إنسٌ ولا جان، إلا وهلك!! ..

يتحسسُ خشونة (كِسرةِ الخُبزِ)، يحاول كسرها بأصابعه، يحاول بكل قوته .. لا يستطيع!! .. يشمُ رائحتها العتيقة بعمق، ثم يُلقيها بفمِّه، يطحنُها بأسنانه، يُفتِتُها بضروسِه، يلوكها بلسانه ولُعابه،

يتلذذُ بطعمِ الطحينِ الرطب، يبتلعُها برشفةٍ من زجاجة البيرة .. تلمعُ عيناه وقد إتخذ قرارًا .. ألهمته إياه (كِسرةُ الخبز) الصلبة.

تُضئُ السماءُ فجأة بالبرق الخاطف .. هزيم الرعد الصارخ يصم الآذان ..

(سبع الليل) سيطحنُ خرافةَ القرية. تمامًا كما طحن (كِسرةَ الخُبزِ) بأسنانه ؛ سيطحنُ وصية الأجداد بأسنانه ؛ ويفتتها بضروسه .. ثُمَّ يبتلِعُها برشفةٍ من البيرة، الليلة. ويعودُ لجسد (الغازيَّة) البضّ، بين عيدان الذرة، يعتصرُ مفاتنها العارية، بجسده المُلطخ بالطين الرطب .. يخطفُ البرقُ الأبصارَ، يصرخُ الرعدِ بصوتٍ هادر :-

- آني أقدر .. (سبع الليل) .. يقدر يخالف الوصية .. اجري يا واد يا (عرفة) .. صحي الشيخ (محفوظ) والعمدة والحاج (حمدان) .. وكل كُبارات البلد .. قولهم (سبع الليل) هيخالف الوصية .. الليلة قبل الفجر .. ويجوا هنا عند شجرة الجميز .. يشوفوا ويشهدوا .. بعيونهم اللي هتاكلها الدود .. (يصرخ) .. آني .. لا يهمني وحوش .. ولا بخاف من عفاريت.

يرفعُ زجاجة البيرة، يتجرعُ نصفها الآخر.

تلطُمُ (الغازيَّة) خدودها .. تندبُ مذعورةً بكلماتٍ مبهمة.

يُكذِّبُ (عرفة) أُذُنيه .. يفتحُ فمه متخشبًا في دهشة!! ثم ينطلقُ مهرولًا نحو القرية .. يوقظُ أهلها فزعين.

◆◆◆◆◆◆ (الوصيـــــة) ◆◆◆◆◆◆

يركضُ سريعًا، يتعثرُ، يقعُ على الأرض، ينتفضُ سريعًا ليعاود الركض، يتعثر مرةً أخرى. يطرقُ الأبوابَ صارخًا بالحدث الجليل، تدور بعقله قصة الوصية الَّتي سمعها عند البئر ..

يحفظُ كلُّ أهل القرية قصة الشيخ (محفوظ) والوصية، عن ظهر قلب، إلا (عرفة)، دائمًا يحايله الشيخ، ولا يقصها في النهاية، ولا يجوزُ أن يقصها أحدٌ غيره، كونه حارسَ القبور الحالي، كما تقولُ الوصية ..

توسط له الحاج (حمدان) بعد العصر، ووافق الشيخ (محفوظ) أخيرًا، شرط أن يشربوا جميعًا من ماء البئر، رغبةً في التطهر. فسمع (عرفة) القصة، لأولِ مرةٍ، بعد أن تطهر من ماء البئر المقدس :-

- لا نعرفُ تحديدًا، من أين أتى سيدنا (العمدة الكبير)، كان يبحثُ عن مكانٍ يحيا به هو وأهله، ويُصبحُ بذُريتِه الصالحة بعد عدة أجيال، قريةً كبيرةً، يُرضي أهلُها اللهَ ورسوله. وجدَ (الكبير) (سبحةً مباركة)، تحوي 99 فصًّا من الماس، تلّتفُ حولَ عصا من الأبنوس المرصَّع بالياقوتِ والزُمرُد، تقبعُ وسط الرمال .. جوار البئر المهجور .. في قلب الصحراء .. ورأى نفسه في المنام .. يبني دوَّارًا كبيرًا في نفس المكان حيثُ وجد (السبحة المباركة) والعصا ذات الجواهر، لم يُكذبْ سيدُنا خبرًا، وبنى دوَّار (العمدة الكبير).

يشيرُ الشيخ (محفوظ) إلى الدَّوار الكبير أمامهم، يتطلعُ (عرفة) للدوار العريق الَّذي يسكنه العمدة الحالي، تآكلت دهاناتُ الجيرِ فوقَ جدرانه شاهقة الارتفاع، تُزينُ الواجهةَ زخارفٌ وتماثيل لرؤوسٍ صغيرة، بعيونٍ مخيفة، وآذانٍ طويلة مسحوبة .. تبدو كوجوهِ العفاريت .. يهزُّ الحاج (حمدان) رأسه مستمتعًا بحديثِ الشيخ :-

- عاش سيدنا (العمدة الكبير) في الدوار هو وزوجاته الأربع، وأبنائه التسعة عشر، وعندما شبَّ أبناؤه رجالًا ونساءً، تزوجوا من الكفور والنجوع القريبة، وبنى لهم (الكبير)، تسعةَ عشر دارًا حول البئر، هؤلاء هم الجدود الأوائل لكل أهل القرية ..

مات سيدنا (العمدة الكبير)، كان ابنه البكر (ميمون) غائبًا، يحُجُّ بيتَ الله الحرام، وكانت الوصية حول العصا الأبنوس، الَّتي تعكَّز عليها (الكبيرُ) كهلًا، تلتصقُ بفصوص الياقوت والزمرد، مكتوبة على جلد الماعز، ومدموغة بختم (الكبير)، وموثقة بدمه الطاهر ..

- أوصى (الكبير) أن يدفنه أولاده، جدودنا، حيث ترك (السبحة المباركة) دليلًا لمكان الدفن، ثم يلُفُوا السبحة حول نفسها كالحلزون، ويُعلِّقُوها على شاهد القبر، حيث تُشرقُ الشمس، ويغرسوا عصا (الكبير) تحت السبحة في الرمالِ لا يُحركها ريح.

- من يتوفاه الله من الذُّرية الصالحة، يُدفَنُ خلف قبر (الكبير)، لا يتخطاه قبرٌ آخر جهة القبلة.

- لا يزورَ ذُريتُه، أو أزواجهم، أو نسلهم، القبر أبدًا، من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

- الدَّوَّارُ يسكنه العمدة (ميمون) البكر، ونسله، ويتولى أصغر الأشقاء (محروس) ونسله، حراسة القبور وتوريث الوصية، ولا يجوز لغيرهم إبلاغ الوصية، أبد الدهر..

(محروس) كما يعرفُ كل أهل القرية، هو الجد الأكبر للشيخ (محفوظ) الراوي .. يكتسبُ صوتُه المهابة .. يُكملُ سردَ الوصية في حماسٍ جاد :-

- مَنْ يخالفُ الوصية، يفترسُه وحشُ القبور، ذو العينِ الواحدة، ينهشُ صدره، بمخالبه وأنيابه، ويبقُرُ بطنَه، ويأكلُ طحالَه وقلبَه وأحشاءَه، ويمضغُ عينيه، فتنبت للوحشِ عينٌ أخرى، مع كل عاصٍ خالف الوصية.

يفتحُ (عرفة) عينيه رعبًا، يتخيلُ الوحشَ ينهشُ صدرَه بأنيابه.

- إنْ نجا المخالف من وحش القبور، ستترصدُّ له عفاريت الجان، ذوي الرؤس والآذان المسحوبة، المنحوتة على واجهة الدوّار، يسحبونه من ملابسه، عريانًا (بلبوصًا)، كما وَلدته أمه، يدفنونه حيًّا بجوف الأرض، ويتركون خلفهم عند قبر (الكبير)، جلبابَ العاصي والصديري، كلسونَ النجس واللباس، عبرةً لمن يعتبر، ويجب أن ينساه الأهل، لأنه كافرٌ، وعاصٍ نجس، لا تجوزُ عليه رحمة، ولا ينال مغفرة!!

- تعجبَ أجدادُنا وصيةَ (الكبير)، وأوامره الغريبة. لم يذكر حتَّى أين ترك (السبحة المباركة)، ويجبُ أن ينفِّذوا حذافير الوصيةِ المقدسة، خوفًا من عفاريت الجان، ووحش القبور ذو العين الواحدة. كما ولم يخبرهم أباهم شيئًا قط .. إلا وصدق!!

- بحثوا عن (السبحة المبروكة) في الدوّار الكبير. في كل بيوتهم، التسعة عشر. حول البئر. في الصحراء والنجوع والكفور. ولا أثر لها، إكرامُ (الكبير) دفنه، واليأس يتملّكُ منهم. حتَّى قادتهم (نعجةٌ عرجاء) لرأس التَّلِ، حيث وجدوا (السبحة المباركة)، تتألقُ فصوصُها بالضوء تحت أشعة الشمس، وسط العُشب الشيطاني!!

أيقظ (عرفة) الحاجَ (حمدان)، هرع يفتحُ المسجد، يعلنُ الخبرَ الأسطوري، يُكررُه مرارًا عبر مكبر الصوت، فوق المئذنة العتيقة :-
- يا أهل القرية الكرام .. (سبع الليل) هيخالف الوصية الليلة .. ولا تجوزُ على العاصي الرحمة .. التجمع تحت التل عند شجرة الجميز .. والحاضر يعلم الغايب .. يا أهل القرية الكرام ....

يُكمل الشيخ (محفوظ) قصّتَه الطاهرة عند البئر، بعد العصر:-

- أتمَّ الجدودُ كلَّ تعاليمِ الوصية، وأصبحت مدافنَ القرية، فوقَ التَّلِ كما أراد (الكبير)، وما حدث بعد ذلك .. يُثبتُ قُدُسية الوصية وصدقها ..

- حين وصل الابن البكر (ميمون) من الأراضي المقدسة، بعد موسم الحجِ، في وقتٍ متأخرٍ عند منتصفِ الليلِ، يُقالُ أنَّ زوجته أخبرته بموت (الكبير) ودفنه فوق التَّل، فركض من فوره لقبر أبيه، قبل أن تخبره زوجته بالوصية، صرخت بها، وكان يهرول بعيدًا، فلم يسمعها، صعد التَّلَّ مسرعًا، ولم يجرؤ أحد أخوته على مخالفة الوصية، وصعود التَّلِّ خلفه، فانتظروا جميعًا عند شجرة الجميز الَّتي زرعها (الكبير)، مضى الوقت ولم يعُدْ (ميمون)، حتَّى بعد أذان الفجر، وشروق الشمس ..

أسرعوا يلهثون إلى قبر أبيهم، وأصابهم الفزع حين وجدوا .. جلباب (ميمون) والصديري .. كلسونه واللباس .. على الرمال أمام قبر (الكبير) .. نجا (ميمون) من وحش القبور ذو العين الواحدة، فسحبته الجان عريانًا (بلبوصًا) كما تقول الوصية .. ودفنته حيًّا في جوف الأرض .. عبرةً لمن يعتبر.

- تيقن الجدودُ بلا ريب، صدقَ الوصية المباركة، تناسوا أخيهم العاصِ إعمالًا للوصية، وورَّثوا ابنه الأكبر العمودية، زعيمًا لأعمامه وللقرية الصغيرة، وتعكّر بعدها ماء البئر، لثلاثة أجيال، حتَّى عاد طاهرًا، حين استقامت الأمور تمامًا، حسب وصية (الكبير).

يسبحُ (عرفة) بعقله في تفاصيل الوصية المقدسة، وقصة الأجداد المجيدة، عظيمة الشأن، ينتفضُ فجأة، يجب أن يسرع الآن.. ليُحضر غداء (سبع الليل)، قبل أن يستشيط منه غضبًا .. يُمسك الشيخ (محفوظ) معصمه :-

- لم تنتهي القصة بعد، جاء في الجيل السابع العمدة الضال (سرحان) من نسل (ميمون) البكر، كذَّبَ الوصية، بعد مائتي عامٍ من دفنِ (الكبير)، وأسماها والعياذُ بالله : (خرافةً لا يُصدقُها عقل) .. عبثًا حاول الأهل والأصدقاء، أن يُثنُوه عن أفكارِه الشيطانية الشريرة، لم يتعظ، وأعلن أنه سيخالف الوصية ليلة العيد .. سيصعدُ التَّلَّ ليلًا.. بعد العشاء .. يزور قبر الكبير .. وزعم أنه سيعودُ سالمًا ..

صعد العمدة الضال (سرحان) التَّلَّ ليلًا،انتظره أهل القرية، لم يعُد أبدًا. وعندما صعدوا التَّلَّ في الصباح، بعد صلاة العيد .. وجدوه هالكًا بين القبور .. صدرَه منهوشًا .. بطنَه مبقورًا .. عينيه ممضوغةً داميةً .. افترسه وحشُ القبورِ .. أكل قلبَه وطحالَه وأحشاءه .. ومضغ عينيه .. عظةً لمن تُسوِّل له نفسُه أن يخالف .. ومن يومها لم يجرؤ أحد على مخالفة الوصية .. حتَّى الآن ..

- حتَّى (سبع الليل) ما يقدرش يخالف الوصية..

صدَّق الحاجُ (حمدان) على حديث الشيخ (محفوظ) .. مؤكدًا :-

- حتَّى (سبع الليل) ما يقدرش .. ولو خالف الوصية .. هيهلك .. ويبقى عبرة لغيره .. زي (ميمون) و(سرحان) اللي هلكوا .. وراحوا فطيس .. ونبقى اِرتحنا من (سبع الليل) .. وربنا رحمنا من شرِّه.

◆◆◆◆◆◆ (العصيـــــان) ◆◆◆◆◆◆

يحتشدُ أهلُ القرية تحت التل ؛ عند شجرة الجميزِ، عن بَكرةِ أبيهم. تسري بينهم الأحاديثُ المستنكرة، بعضهم ينصحُ بأن يجتمعوا فيقتلوا (سبع الليل) قبل أن تصيبهم لعنة الوصية، أكَّد لهم الشيخ (محفوظ) : اللعنة على العاصي وحده.

يقفُ (سبع الليل) تحت التَّلِّ بجسده الضخم .. يُعلنُ أنه سيزورُ قبر (الكبير) .. يبولُ على القبر .. يفترسُ وحشَ القبورِ بأسنانه .. يدفنُ جنَ الدوّار في باطن الأرض حيًّا .. ويعودُ ولم يمسَّسه سوء .. ليواقع (الغازيَّة) بعنفٍ .. في حقل الذرة .. حتى تصرخُ وتستغيثُ.

تحجُبُ السُّحبُ الكثيفةُ الهلالَ الواهن، تصبحُ الليلةَ أكثرُ سوادًا وحلكة، يسطعُ البرقُ يضيءُ للحظةٍ وجهَ (سبع الليل) المخيفِ، تصرخُ السماءُ بالرعدِ، تنهمرُ الأمطارُ الغزيرة فجأة.

يضربُ أهل القريةِ كفًّا بكفٍ ؛ ما سمعته آذانهم الصالحة، هو الكفر بعينه، حتَّى السماء تنتفضُ باكيةً من هول الحدث.

- آني هخالف الوصية .. واللي يحصل يحصل ..

يستديرُ (سبع الليل) لا يعبءُ لأهل القرية، أو المطر، أو البرق والرَّعد، يصعدُ التلَّ تجاه المقابر، الرِّمالُ مُوحِلةً بماء المطر، والسيرُ عسيرًا، شاقًا، مياه المطر تنهمرُ بشدة .. تغوصُ قدمُ (سبع الليل) في

الرِّمال الموحلة .. تتعثرُ خطواته صعودًا نحو المقابر .. يخطفُ البرقُ الأبصارَ بين الحين والآخر ..

- قد تكونُ مخطئًا يا (سبع الليل) .. وقد تكونُ تلك (الوصية) حقًّا مُقدسة .. تسعى لهلاكك .. كما هلك (ميمون) و(سرحان) من قبل ..

يدوي هزيمُ الرَّعدِ قويًّا، لا ينقطع، يتسللُ الخوف إلى نفسه يفكر في الوحشِ ذو العين الواحدة، أنيابه ومخالبه، الجان المنحوتة على جدران الدَّوَّارِ، وجوهها المرعبة، يتخيلُ نفسَه (بلبوصًا) يتنفس التُّرابَ، يختنقُ حتَّى الموت وقد دُفن حيًّا، ينفضُ الأفكار المخيفة عن رأسه وقد وصل المقابر.

الظلامُ دامس، شواهد القبور كالأشباح، تتأهبُ لاقتناص الفريسة، مضى بين القبور في حَذرٍ، يقرأ الفاتحة والصمدية، وبعض الأدعية الَّتي حفظها صغيرًا بالمسجد، الرِّمالُ فوق التَّلِّ أكثف وأعمق، ومياه المطر أغزر، كأنك تمضي في بركةٍ مُوحِلةٍ ضحلةٍ، تحيطُك الأشباحُ وعفاريتُ الجانِ من كلِ صوبٍ، ويترصدُ لك وحشٌ كاسر، بعينه الواحدة. صوتُ عواءَ ذئبٍ جائعٍ فوق الجبل البعيد ..

يرتجفُ قلبُه رعبًا، قد ظهر قبرُ (الكبير)، يحيطُ القبر وحده دون باقي القبور، ضياءٌ خفيٌ لا تدري مصدره، يتملَّكُهُ الخشوع للحظات، يتسمرُ أمام القبر، يرفعُ جلبابَه ويُنزل لباسَه، لا يزالُ قلبه يرتجفُ

خوفًا، يتلفتُ حوله في رعب، لا يستطيع التَّبَول على القبرِ، يستديرُ ويجري مذعورًا، لم يرفع اللباس بعد، يُجذَبُ جلبابَه من الخلف فجأة، فيقع على الأرض وسط البركة الموحلة، أمام قبر (الكبير) .. يلتفتُ خلفه، يرى عينًا خضراء مضيئة تُحدّق إليه. كانت (الغازية) على حق!! ..

إنه وحشُ القبور، عينه الوحيدة خضراء، ملعون أبو تلك (الكِسرة من الخبز)، الَّتي أوحت إليه بتلك الفكرة الخبيثة، يحاولُ النهوض والهرب ؛ لكن الوحش يجذبه بمخالبه، يقعُ وسط الوحل مرةً أخرى، يحاولُ (سبع الليل) الفرار، يلتفتُ يحدِّقُ بعين الوحش الخضراء المشعة، يصيبُه الرعب، يُطبقُ الوحش على جلبابه أكثر كُلَّما حاول الهرب، يخلعُ الجلباب حتَّى يتحررَ ويجري، ينحصرُ الجلباب عند رقبته وينعقد، مفزوعًا، يتعثرُ ويسقطُ برأسه في بركة الوحل الضحلة، يُمزقُ الوحشُ الجلبابَ بمخالبه، يختنق (سبع الليل) .. يجذبُ جسده بعيدًا في عنفٍ، يتخبطُ، يتملّصُ بكلِّ قوته، حتَّى لا يفترسه الوحش بأنيابه. يتنفسُ الوحل ويختنقُ بالرمالِ الرطبة، يسعلُ باستماتة، تضربُ أطرافه الهواء .. تنحصرُ الدماءُ تكاد تنفجر برأسه، تجحظُ عيناه .. يتدلى لسانه خارج فمه .. ينتفضُ جسده مستغيثًا بقبر (الكبير). يسمع أهلُ القرية تحت شجرة الجميز .. صرخةَ رعبٍ مدويَّة .. يتردُ صداها بين سفوحِ الجبال.

◆◆◆◆◆◆ (خبايـــا وأســـرار) ◆◆◆◆◆◆

صدقًا أخبركُم : نصحني الزملاءُ رواة القصص، أن أقفَ بسردِ تلك القصة، عند هذا الحد، أن أكتفي، ألَّا أقصّ وأروي، كلَّ ما أعرفُ، من أسرارِ القصة .. وخباياها الأسطورية .. حسنًا .. (أُحركُ رأسي يمينًا ويسارًا في بطءٍ) .. لن أفعل!!

- عندما عاد (ميمون) البكر من الحج، بعد منتصف الليل .. ملهوفًا للقاءِ زوجته الجميلة، مشتاقًا لمباركة (الكبير)، أفجعته زوجته، على فراشه، تتأوهُ عاريةً .. تتمرغُ في أحضان ابن عمها .. من النَّجع القريب .. يمتطيها وجسدَه بين فخذيها .. حتَّى فاضت ذروة النَشوة .. أمام عينيه .. يتعاركُ مع ابن العم يكادُ يصرعه، فيقفز من نافذة الدار هاربًا لنجعه، وتُعاجلُ الخائنة (ميمون) الثائر ؛ تصرّفه عن قتلها .. تُخبرهُ بموت (الكبير) ودفنه فوق التَّل، يبكي هول الصدمة، وينتحبُ الفاجعة ..

يهرولُ (ميمون) البكر نحو قبر أبيه، يصعدُ التَّلَّ يَجهشُ بالبكاء، تتكاثرُ المصائبُ فوق رأسه، يتساءلُ : لمن يكون النسب؟؟ .. من يرثُ عرشَ (الكبير)؟؟ .. هل هُم نسله؟؟ .. هل أبناءُ (ميمون) من ظهره؟؟ .. أم من ظهرِ ابن العم؟؟ .. يخلعُ ملابسه كلها أمام قبر (الكبير)، تفورُ دمائُه بالعارِ، تنهشُ الخيانةُ لحمَه، تنخرُ الخسةُ عظامَه، يلطمُ وجهه، تغرقُه الدموع، يُمرغ نفسه في الرِّمالِ خزيًا، ينتحبُ بائسًا مقهورًا ..

وعندما كان أخوته ينتظرونه عند شجرة الجميز، كان يهبط التَّل من الناحية البعيدة، يهرولُ عاريًا خلف الدوار، لا يراه أحدٌ، حتَّى

يصل إلى البئر .. يربطُ بطنه بحجرٍ ثقيل .. ويُلقي نفسه يسقطُ إلى قاع البئرِ .. يتعكرُ ماؤه الطاهر .. لثلاثة أجيالٍ.

- الذِّئابُ الجائعة وسط القبور، تربصت لـ (سرحان) الضَّال، افترسته هائجة .. تنهشُ صدره بالمخالبِ والأنياب .. تبقرُ بطنه .. تلتهمُ طحالَه وكبده .. قلبَه وأحشائَه .. والغربان والنسور .. نقرت عينيه قبل شروق الشمس .. حتَّى أدمتها .. وطارت مبتعدةً .. ترفرفُ بأجنحتها العملاقة .. فوق رؤوسِ الفلاحين .. يصعدون التَّلَ بعد صلاة العيد.

- وعندما وقفت القرية في الصباح، عن بَكرةِ أبيها، أمام قبر (الكبير) .. يحدِّقُون مذهولين، بعصا (الكبير) الأبنوس، المرصعة بالياقوتِ والزمرد، تخترقُ طرف جلباب (سبع الليل)، ينعقدُ الجلبابُ حولها من جهة، ومن الجهة الأخرى، يلتفُ حول عنق (سبع الليل) .. جاحظُ العين يتدلى لسانه خارج فمه .. غارقٌ في الوحل .. ينحصرُ عنه اللباس .. يحدِّقُ بعينين فقدتا بريقَ الحياة .. إلى (السبحة المباركة) .. تملكتهم الحيرة يتكهنون .. حتَّى فهموا ما حدث.. فانفجروا جميعًا بالضحكِ يُقهقِهُون.

ويضيفُ الشيخُ (محفوظ)، فصلًا ساخرًا للوصية المقدسة، تتوارثه الأجيال. عن أشدِ الرجالِ بأسًا، (سبع الليل)، جاء في الجيل التاسع عشر، من نسل (ميمون) البكر (أو نسل ابن العم النجس كما نعلمُ ويجهلون!!). عصى الوصية، فمات مشنوقًا بجلبابه في الوحل .. جاحظ العين يعضُ لسانه .. ينحصرُ لباسُه في خزي .. هاربًا

في خوفٍ وذُعر .. من عصا (الكبير) الأبنوس .. تشتبكُ بالجلباب .. و(سبحة) الكبير (المباركة) .. تُشعُ فصوصُها الماسية في الظلام .. بلونٍ أخضر براق .. كعينٍ مضيئة.

وتصدقُ الوصية المقدسة، على مرِ العصورِ، لم يعصاها من قبل، إنسٌ ولا جان، إلا وهلَك .. عريانًا (بلبوصًا) .. أو مبقور البطن، ممضوغ العين .. أو مختنقًا بجلبابه في الوحل .. ينحصرُ عنه اللباس.

◆

حُـــريـــة

Freedom

أنا لا أطلبُ سوى الحرية ..
أن أكونَ حرًّا كالفراشِ.
تشارلز ديكينز

تُنهكهُ المحاولة، فيُعرض عنها، ينهارُ تحت النافذة، يلهثُ بشدة، يتصبّبُ العرق الغزير من جبينه، تهدأُ أنفاسه رويدًا رويدًا، يهبُّ واقفًا فجأة، يبحثُ بعينيه عن قطعة الحجر الجيري، حتَّى يقعُ بصرَه عليها، يلتقطها ويخطُ على جدار الزنزانة المواجه للنافذة علامةً لاتينيةً أخرى، يُحصي ما خطّه من علامات : 774 علامة.. تُقابل 774 محاولة يائسة للحرية!!

تتسللُ عيناه خلال قضبان النافذة، يتطلعُ بأملٍ للطريقِ بعيدًا، حيثُ يتداخلُ المارةُ بعشوائية، يزدردُ لعابه، يُمسك القضبان الحديدية بقبضتيه في إحكام، يجذبها بكل قوته في عنف، ينتفضُ جسده يحاول باستماتة خلع القضبان، يتوقعُ أن تنهارَ النافذة في أية لحظة. تبدو محاولته بائسة، كلما مرّت الدقائق ثقيلة، ولا تنهارُ القضبان، يجذبها بقبضتيه عنيفًا، تكادُ الدماء تنفجر من عروقه ؛ لكن قضبان النافذة كانت أقوى من بأسه، تُنهكُه المحاولةُ من جديد، يضربُ رأسه بالقضبانِ عدة مرات .. يضربها حتَّى تُدمي .. يجتاحُهُ اليأس.

تتجمدُ نظرته على الحرية التي تحلّقُ هناك في الفضاء، خلف القضبان، تنحدرُ دمعةٌ حارة، تنسابُ على خده في بطء، تشق طريقها عبر ملامحه المنهكة، يشعر بمرارتها تبللُ شفتيه، يتراجعُ يجرُ

قدميه في تهالك، حتَّى الجدار المقابل للنافذة، يخطُّ علامته الجديدة، الَّتي تقطُرُ بالفشل، يديرُ وجهه للنافذة بصعوبةٍ، يلتصقُ بجدارِ العلاماتِ بظهره، يتركُ جسده يحتك بالحائط، وينهارُ جالسًا على الأرض في إعياء، تتساقطُ دموعه، المرارةُ تملأُ أعماقه، يدفنُ وجهه بين ركبتيه، يحتضنُ جسده بذراعيه كالجنين، ينتحبُ في حُرقةٍ، يجترُ ذكريات المحاولات الفاشلة للحرية، تبللُ الدموعُ ملابسَه المهلهلة. بردًا قارصًا يجتاحُ الأوصال .. قشعريرةً مرتجفةً تعصفُ بالروح .. حسرةً تنخرُ حتى الأعماق .. تعتصرُ القلب .. تُثيرُ كلَّ الأوجاع والآلام المريرة .. في سبيلِ حريةٍ غائبة.

يمضي الوقتُ ثقيلًا، تعبرُ النافذةَ أشعةُ الشمس الغاربة، تُضيءُ مكمنه، يرفعُ رأسه من مدفنها، يتطلعُ بعينيه لقرص الشمس في تخاذل، قد اكتسى بحُمرة الغروب، يدبُّ النشاط في جسدِه فجأة، يمسحُ دموعَه، ينتصبُ واقفًا، ينظر للنافذة بتحدٍ وكراهية، كمن ينظر لعيني وحشٍ كاسرٍ، يحولُ بينه وبين حريته، يتجه نحوها بخطواتٍ ثابتة، يمُدُّ ذراعيه، يُحكِم قبضتيه حول القضبان، يجذبها وينتفض بعنفٍ شديد، لا تُنهكه المحاولة بمرور الوقت هذه المرة، بل يزدادُ إصرارًا وعنفًا، يستميتُ في جذبها بصلابة، حتَّى يُسدلُ الليل ستائره، جسده لا يزال يهتزُ بقوة .. يجذبُ القضبان بقبضتيه

الداميتين، تسيلُ الدماءُ غزيرةً على القضبان، يبطئُ حركته .. يلتقطُ أنفاسه ..

يوقنُ أن لا سبيل للحرية، يزدردُ لعابه بصعوبةٍ .. يلهثُ بالزفيرِ المتلاحقِ، يتطلعُ إلى النجوم .. يملأُ الشجنُ أعماقَه، تدمعُ عيناه، يُرخي قبضتيه الداميتين حول القضبان، يعودُ يجرُ أذيال الهزيمة، يخطُ على الجدار علامةً أخرى، جديدة، ينظر لمئات العلامات الجيرية البيضاء على الجدار المتآكل، كأنه بدأ خطها منذُ ألف عامٍ مضت!! لم يعرف خلالها سوى اليأس والمرارة، والحلم بالحرية، والتطلع عبر النافذة!!

في طريقِه لانهيارٍ جديد، تبرُقُ عيناه ببريقٍ مفاجئ، يعزمُ أن ينالَ حريته أخيرًا، يخلعُ قميصه، يُحكِم ربطه بأعلى إطار النافذة، يجدّله على شكلِ أنشوطة، يخطُ على الجدار العلامة 777 والأخيرة، يقذفُ قطعةَ الحجرِ الجيري عبر القضبانِ، يلفُ الأنشوطة حول رقبته، يُحكمها، يتركُ جسده يتهاوى مشنوقًا من أعلى إطار النافذة ..

كان يعرفُ دائمًا أنه لن ينال حرّيته، إلا عبر تلك النافذة، تلمحُ عيناه علامات الجدار الجيرية، يُغمضُ عينيه، يرى أحداثَ حياته المريرة تتلاحقُ بعقله في سرعة، تخنقه الأنشوطة، يستميتُ في

الشهيق، ولا يحاول المقاومة، يبتسمُ، يضربُ الهواء بيديه وقدميه دون شعور، يدوي بين جدران الزنزانة، صوتُ فرقعةٍ مكتومةٍ ..

تسكُنُ أطرافُه متصلبةً .. تهوي النافذة بجسده أرضًا في عنف .. تتسللُ عبر الفراغ .. نسماتُ الليل الباردة .. تلفحُ جسدًا هامدًا .. يتكوّمُ بلا حركة .. على أرضِ الزنزانةِ الرطبة .. بين نافذةٍ محطمة .. وقضبانٍ حديديةٍ دامية .. تحتَ جدارٍ متآكل .. خُطَّ بعلاماتٍ لاتينيةٍ مبهمة.

تنتفضُ سُبابةُ الشاب .. تنبضُ بحركةٍ مباغتة!!. ◆

صُـــــدفـــــة

Coincidence

كلُ ما تخطئُ فيه حساباتُنا ..

نُسميــــــه : (الصـدفــة).

ألبرت أينشتاين

- ((ياله من يومٍ جميلٍ للموت!! ..)) ..

تطلّعتُ من النافذة إلى الأسفل، هو ذاته نفس العالم الغريب، نفس الوجوه الَّتي مهما اختلفت ملامحها، إلا أنها متشابهة تمامًا، دون علمٍ صريحٍ بذلك!!.

رشفةٌ من كوب الشاي الساخن .. إنه الجنونُ عينه .. حياةٌ لا معنى لها ولا قيمة!! .. قد يكتمل معناها وقيمتها بالموت!! .. بالتَّأكيد!! .. وهو يوم مناسب للموت !! .. أنفجرُ بالضحك .. رشفةٌ أخرى .. تطلّعتُ للوجوه المختلفة .. ذات الملامح الواحدة .. حتَّى حياة كل منهم، آلامه وسعادته، حُبَّه ومصيره ونهايته، تبدو جميعًا، كفصولٍ متعددة، لنفس الرواية الفلسفية، متشابكة الأطراف .. يالي من فيلسوف!!

أضحكُ مرةً أخرى .. رشفةٌ أخيرة .. أُسقطُ كوب الشاي من النافذة، أراقبه من الدور الخامس يدورُ حول نفسه في الهواء، حتَّى يرتطم بالرصيف، تتناثرُ قطعُ الزجاج المكسور تختلطُ بتِفل الشاي .. وسط المارة .. ينظرون إلى الأعلى .. أُلَوِّحُ لهم بالتَّحيَّةِ .. أوميءُ برأسي متفهمًا .. وأبتسمُ لهم في احترامٍ!!

- ((لا أؤمنُ بالصدفة!!)) ..

أُخرجُ العلبة (القطيفة) من درج المكتبِ .. لا أصدق كل العلماء العباقرة عن احتمالية كوننا .. مجرد صدفة!! .. ألتقطُ المسدس، الخزينة، صندوق الرصاصات، وكاتم الصوت .. لابُدَّ لكل شئٍ من ترتيبٍ ونظام .. رُبَّمـــا .. خُطــة!! ..

أحشرُ الرصاصات في الخزينة .. أمَّا الصدفة : هي احتمال غير مقبول بالنسبة لي!! .. ألقمُ خزينة الرصاص بالمسدس .. رُبَّما يكون أفضل ما يحدث لي .. أن أموت برصاصةٍ سريعةٍ في الرأس!! .. أشدُ أجزاء المسدس فيُصدرُ صوته المعدني المحبب .. أُقَبِّلُهُ .. أُخفيه وكاتم الصوت تحت ثيابي وأرتدي القبعة.

في طريقي للخارج لم أنسَ أن أُقبِّلَ زوجتي العزيزة .. أحتضنُ ابنتي الرقيقة بقوة، أُغرقُ وجهها الصغير بالقبلات الحارة!!

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- ((شوربة كوارع، ليمون، كباب وكفتة، وورق عنب)) ..

ياله من مطعمٍ فاخرٍ!! .. لماذا لا أرتادُ مثل هذه الأماكن الفاخرة؟! .. ألابُدَّ من يومٍ جميل للموت .. كاليوم .. حتَّى أتناولُ غدائي بمطعمٍ فاخرٍ كهذا؟!

عجوزٌ متصابيةٌ ورفيقُها، شابٌ في العشرين، يهمسُ في أذنِها، فتضحكُ بخلاعةٍ، تحشرُ قطعةَ اللحمِ في فمِه.

رجل وزوجته وطفلين على منضدةٍ أخرى، يتحاشى الرجلُ نظراتَ زوجته، يرتشفُ من كأسِ النبيذ الأحمر، ويختلسُ النظر لامرأةٍ بارعة الجمال تجلسُ عند المنضدة بالركن.

يُحضرُ النادلُ الطعامَ، يرتبُ الأطباق وأتأملُ أنا تلك المرأة الصَّاروخية!! بيضاء بعيونٍ زرقاء وشعرٍ أشقر .. ترتدي فستانًا أزرقًا قصيرًا .. تتحدثُ بمرحٍ لرجلٍ ذو شارب يجلسُ إلى جوارها، يضحكُ بنفس المرحِ .. أسكبُ الكثير من الفلفل الأسود على شوربة الكوارع وأعصرُ الليمون، أتناولُ الشوربة في استمتاعٍ، يرصُدني الرجلُ ذو الشارب ألتهمُ الفاتنةَ بعيني .. يُشعُ الغضبُ من نظراته، أتحاشاه وأنهمكُ بالأكل .. ورق العنب لذيذ .. والكباب أيضًا دسم وشهي ..

أُحاولُ رؤية ساقي الشقراء .. حذائها .. ينسدلُ مفرشُ المنضدة يخفيهما عني!! .. أتخيلُ ساقها .. بالطبع (زبديتين بالقشدة) .. ألتهمُ

قطعة كباب كبيرة بالطحينة، يبدو الرجل ذو الشارب في غايةِ السعادةِ، يمسكُ كفَّها البض، يمطره بالقبلات، يكادُ يلحس أصابعها ؛ فتسحبُ يدها في خجل ..

قطعة كفتة أخيرة، أسترخي في مقعدي بهدوءٍ، أنتظرُ كوب الشاي الثقيل، أستمتعُ باللَّحظاتِ متحسسًا المسدس تحت ملابسي، أختلسُ النظر بين الحين والآخر .. محاولًا رؤية حذاء الشقراء المثيرة!! ..

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- ((ياله من مكانٍ مناسبٍ للموت!!..))..

رُبَّما يكون أجمل ما في الحياة أن تنتهي فجأة!! .. هنا تمامًا المكان المناسب، شاطئُ النيل الهادئ، قليل من المارة بين الحين والآخر، بعض (الحبيبة) الَّذين يُفضِّلون الأماكن المظلمة فوق سورِ الكورنيش، والمقاعد الرخامية المختفية تحت الأشجار .. أنا أيضًا اخترت مقعدًا مظلمًا!! ..

أنظرُ للسماءِ أتأملُ النجوم، أُفكرُ بماهية الحياة بعد الموت .. أتنفسُ هواء النيل الرطب بعمق .. تتخللُ أنفي رائحة الطمي

الحميمة .. بعد الموت؟! إنها بالتَّأكيد أفضلُ من الحياة هاهنا .. إنها الجنة الخالدة .. والراحة الأبدية!!

تأهبتُ لأُخرجَ المسدس، شابٌ وفتاةٌ متقاربان، يمران أمامي ببطءٍ، أراقبهُما خلسةً حتَّى يبتعدا.

أستلُ المسدس، أتأكدُ من وضعِ زر الأمان جاهزًا للإطلاق، التفتُ حولي تحسبًا لوجود مراقب هنا أو هناك، أُخرجُ كاتم الصوت .. أُثبته بفوهة المسدس في سرعة ..

أتسللُ نحو مقعدٍ رخامي قريب .. حيث تجلس الفاتنة الشقراء بالفستان الأزرق .. ورفيقها ذو الشاربِ .. هل هي صدفة؟!!

لا أؤمنُ بالصدفة .. ولن يمنعني أحد الآن من تنفيذِ خُطتي .. أصرخُ بهما :-

- إنه يوم جميل للموت!! ..

يفزعا لرؤيتي شاهرًا المسدس في وجوههم .. تبعتهم طوال النَّهار بصبرٍ .. حتَّى هذا المكان المناسب .. أُطلقُ رصاصةً واحدةً على رأسِها ؛ فتهوي .. يتكومُ جسدها على الأرض ..

وأخيرًا رأيته .. حذائها .. فضي براق ذو كعبٍ عالٍ .. وأساور رفيعة.

أُصوّبُ المسدسَ إلى الرجلِ ذو الشارب .. لا شهود .. تلك أهم القواعد .. أُطلقُ الرصاص عليه دون تردد.

لا ألتفتُ للخلفِ أُسرعُ نحو السيارة، أُخرجُ ظرفَ النقود وصورة الشقراء الفاتنة .. يرحمها الله .. أُمزقُ الصورة وألقيها من النافذة ، أدسُّ النقود بجيبي، أضغطُ دواسة الوقود في قوة، فيزأرُ محرك السيارة بصوتٍ عالٍ .. أنطلقُ .. كمحترفٍ .. بعيدًا عن مسرحِ الجريمة .. في سرعةٍ صاروخية!!. ◆

لانِهَـائـِّـي
Infinity

عندما أتأملُ الكونَ من حولي ..
ينتابُني الخشـوعُ ..
بين العدمِ الَّذي خرجتُ منه ..
واللَّانهاية الَّتي سأذهبُ إليها!!
بليـزباسكـال

◆◆◆◆◆◆ ((1)) ◆◆◆◆◆◆

أعشقُ هذا المكان البديع : شاطئُ النيل المهجور، في تلك المنطقة النائية ؛ خاصةً في هذا الوقت المتأخر من الليل ؛ حين يغيبُ البشر عن المكانِ .. رُبَّما خوفًا من عفاريت الجان!! .. ألتفتُ حولي .. أين هي لتشاركني تلك اللحظات السعيدة؟؟ .. حتى العفاريت ستخرُ خاشعةً أمام هذا الجمال الخلاب!! .. أتأملُ صفحةَ النيل تعكسُ أشعة القمر .. أخترقُ بعيني المياه أغوصُ نحو الأعماق .. أرسمُ في مخيلتي صورةً حيَّة لمخلوقات هذا النَّهر : الأسماكُ، الضَّفادع والثَّعابين النَّيلية، رُبَّما التَّماسيح .. تتخذُ جميعًا من مياه النيل، حالكة السواد، مسكنًا ومبيتًا ..

أعماقُ هذا النهر، عالمٌ آخر، لا نراه، تنعمُ كلُّ كائناته الآن بصخبِ الحياة، في نشاطٍ وحيوية.

أنفثُ دخان سيجارتي .. أتبعهُ ببصري .. يرتفعُ لعنان السماء سريعًا .. ماذا عن تلك السماء؟! .. تلك النجوم والأجرام والكواكب اللَانهائية؟! .. لابد أنَّها أيضًا عالمٌ آخر .. مختلف وغريب .. لابد من كائناتٍ تتخذُ السماءَ أيضًا .. مسكنًا ومبيتًا .. تثاءبتُ أُقاومُ رغبةً ملحةً في النوم.

دائمًا ما يجذبُ انتباهي .. ذلك التَّشابه بين الذَّرة والمجموعة الشمسية، فالذَّرة بها نواة مشعة، والإلكترونات تدور حولها في مساراتٍ دورية، والمجموعة الشَّمسية أيضًا بها نواة مشعة بالضوء

نسميها الشمس، وكواكب تدور حولها في مساراتٍ دورية، حتَّى أن كل المسارات تدورُ في نفسِ الاتجاه ؛ لكن الفرق رهيب في الحجم .. الحجم!! ..

يظهرُ في الأفق فجأة جسمًا كالغواصة، هائل الحجم، كناطحةِ سحابٍ عملاقة، أحدقُ في ذهولٍ .. الجسم الغريب، يبدو كأنه يتقلص!! ويقتربُ من الأرض في سرعة ..

أفركُ عينيَّ لا أُصدق ؛ لكنَّ ما أراه حقيقيًّا بالفعل .. هذا الجسم ينكمشُ في سرعة .. حتَّى أصبح في حجم سيارةٍ صغيرةٍ .. يستقرُ على الأرضِ .. غير بعيدٍ عن موقعي.

قفز إلى رأسي فجأة : شخصية (إى . تى) .. وجميع شخصيات فيلم (Men In Black) الفضائية ..

أراقبُ الباب البيضاوي في خوفٍ وحذرٍ، يُفتحُ الباب تحيطُه أبخرةٌ بيضاءٌ كثيفةٌ، ينبعثُ ضوءٌ أزرقٌ ناعمٌ من الداخلِ،أنتظرُ كائنًا أخطبوطيًّا متعدد الأطرافِ، رُبَّما يلتهمني ويمضي إلى حال سبيله!! .. أُفكرُ بالفرارِ مادامت الفرصة سانحة .. ناجيًا بحياتي ..

يقفُ داخل السفينة الفضائية .. بهدوءٍ مُطمئِن .. من يبدو عبر الأبخرة .. إنسانًا .. نعم إنسانًا .. يرتدي زيًّا فضيًّا براقًا، من قطعةٍ واحدةٍ .. يخلعُ عن رأسِه خوذةً شفافةً غريبةً .. أترقبُ ما يحدثُ في مهابةٍ، يَخرجُ هذا الإنسانُ الفضائيُ من السفينةِ، يتأملُ حوله

مستنشقًا هواء النيلِ الرطب بعمقٍ .. يلتفتُ إليَّ فجأةً .. يتقدمُ ويخطو نحوي في سرعة ..

يدقُّ قلبي في عنف، لا أعلمُ .. أحقيقةً أحْيَا، أم حُلمًا، أم مجردَ وهمٍ من نسجِ الخيال؟! .. يقتربُ الكائن البشري أكثر، يتوقفُ على بُعد خطوةٍ واحدةٍ مني، يتفحصني ببصره من أعلى رأسي إلى أخمصِ قدمي!! ..

تبدو ملامحه واضحة، رجل وسيم، متين البُنيان، ذو ذقنٍ كثيفةٍ سوداءٍ وشعرٍ طويلٍ متشابكٍ، يبدو كرجالِ العصورِ الحجريةِ، رغم ارتدائه الزِّي الفضِّي الغريب، أمُدُّ يدي مترددًا لمصافحته، يبتسمُ ويصافحني في ودٍ .. يقولُ بالإنجليزية :-

- كيف حالك .. إنه القرن الواحد والعشرين .. أليس كذلك؟

تعجبتُ تحدثه بالإنجليزية، كما تعجبتُ السُّؤال!! تلك إذن آلة زمن، إنه بالتأكيد من زمنٍ آخر :-

- نعم .. القرن الواحد والعشرين بالفعل ..

أجبتُه بإنجليزيةٍ ركيكة، أشيرُ إلى الغواصةِ الغريبةِ :-

- أهي آلةُ سفرٍ عبر الزمن؟؟!!

يضحكُ مقهقهًا بصوتٍ جهوري .. يسعل ويتمالكُ أنفاسه .. أرتبكُ خجلًا .. أدفعُ نحوه عُلبة السجائر، يأخذُ سيجارةً، يضعها بين

شفتيه في لهفةٍ، أُشعلُها له بقداحتي ؛ فيربتُ على يدي شاكرًا، يسحبُ نفسًا عميقًا وينفثه في استمتاعٍ :-

- آلةُ الزَّمن حلمٌ اخترعه (جورج ويلز) في روايته الشهيرة، وفشل العلماءُ في جعله حقيقةً ملموسة .. في رأيي لا يُمكن السفر عبر الزمن ذهابًا وإيابًا .. ليس للزمنِ وجودًا ماديًّا .. ويمضي في مسارٍ وحيدٍ .. قد يجدُ العلماءُ طريقةً في المستقبل البعيد .. لا أدري .. أعلمُ أنَّ الزمنَ نسبيٌ .. أُسافرُ مثلًا 10 أعوام في الفضاء .. وعند عودتي للأرض.. يكون قد مرّ على سكانها 50 أو500 عام، تتحددُ نسبةً إلى سرعة سفري في الفضاء.

أفكرُ في مئات الأسئلة والتخمينات، قررتُ كبدايةٍ أن أُثبت فراستي :-

- إنَّها إذًا سفينةُ فضاءٍ ..

أُنهيتُ الجملة أتوقعُ إيماءةَ رأسه بالإيجاب ؛ لكنه لا يفعل!! يُحركُ سبابته أمام وجهي نفيًا في بطء :-

- ليست سفينة فضاء.. الـ (كورنو) آلة تنقل معقدة، متعددة المهام، يصعُب تسميتها بكلمةٍ واحدةٍ تفهمها أنت .. أستطيعُ أن أسافر بها إلى أعماقِ الذرة .. وأهبطُ بها على سطح الإلكترون ؛ لأنَّها متغيرة الحجم!!.

أحاولُ التركيز حتَّى أستوعبَ ما يقولُ بالإنجليزية، أتأملُ الآلة ذات السطح البرونزي اللامع، لا أفهم كيف تكونُ متغيرة الحجم .. حقًا رأيتُها منذ قليل .. تتقلصُ وتنكمش .. لكن كيف؟؟.. كيف؟؟ .. وكأنه يسمعُ أفكار رأسي .. :-

- تلك المواد الصلبة الَّتي صُنعت منها آلة التنقل متعددة المهام .. مكوَّنة من جزيئات .. تتكوَّنُ الجزيئاتُ من ذرَّات .. والذرَّة من نواة والكترونات .. أتعلمُ بوجودِ فراغٍ نسبي هائل بين النواة والإلكترونات؟؟ ..

أومئُ برأسي إيجابًا .. يسحبُ نفسًا من السيجارةِ ؛ ينفثُ الدخان في بطءٍ وتلذذ ؛ ثُم يُلقيها أرضًا ويدهسُها بقدمه :-

- حسنًا .. توجد أيضًا فراغات شاسعة بين الذَّرَّات .. وفراغات هائلة بين الجزيئات .. ويبقى ملمس المادة المكوَّنة من تلك الجزيئات والذَّرَّات .. صلبًا كما تراه وتلمسه ..

بالنسبة للـ (كورنو).. يَحتويه غلافٌ كهرومغناطيسى، يتحكم بدقةٍ شديدة، في تقليص أو تمديد الفراغات بين الذرَّات والجزيئات، بكلِّ المعادن الَّتي صُنع منها ..

أمَّا بالنسبة لمن يتحكمُ بالـ (كورنو)، من البشرِ مثلًا، يتم تغيير حجمهم بتقنية مختلفة، تحيطُ هالةً كهرومغناطيسية أخرى من الداخل بغرفة القيادة .. تتحكمُ في تقليص أو تكبير الفراغات

بالأجسادِ الحية .. الحجم الحقيقي للـ (كورنو) يتجاوزُ بكثيرٍ حجم مجرّة (درب التبانة)!! .. ويُمكن تكبيره آلاف أضعاف حجم المجرة .. كما يُمكن تقليصه أصغر من الإلكترون بمليون مرة .. صدقني يا صديقي : لم يعُد الحجم بمشكلةٍ.

أُشعلُ سيجارةً أُخرى وأنفثُ دخانها في اضطراب. يُذهُلني ما يقول، وأتعجبُ ما رأته عينيَّ!! .. أُمطرُهُ بسيلٍ من الأسئلة :-

- مَن صنع هذا الـ (كورنو)؟؟.. ومَن إنت؟؟.. تتحدثُ عن تقنيةٍ خيالية - لا يعرفها البشر - بمنتهى البساطة .. رغم كونك بشري .. من أين أتيت أيُّها البشري بتلك التقنيات المتطورة؟؟ .. ولماذا هبطت الآن .. هُنا تحديدًا؟! .. وماذاا ...

يوقفني مبتسمًا بإشارةٍ من يده .. :-

-انتظر .. فقط انتظر .. سأجيبُ كلَّ أسئلتك .. تبدو ذكيًّا .. هل ترغب بالانطلاقِ في رحلةٍ بالـ (كورنو)؟؟

تتألقُ عيناي ببريقِ النَّشوة .. أُهرولُ فرِحًا كالأطفالِ نحو الـ(كورنو) .. أتطلعُ برأسي داخله .. يحوي مقعدين ..

تتملكني الإثارة، أحيا حُلمًا خلَّابًا، لا أرغبُ في الاستيقاظِ منه .. تقدم الرجلُ بالزّي الفضّي نحوي بهدوء .. يسحبُ السيجارة من بين أصابعي .. يُلقيها على الأرض :-

- ممنوع التدخين .. (بروس) هذا اسمي.

يسبقني نحو الـ (كورنو) .. أُسرعُ الخطا خلفه .. يبتسم :-

- هل تمتلكُ اسمًا؟!

أخطو داخل السفينة الغريبة .. أتعجبُ متأملًا الأجهزة المبهرة :-

- يمكنك أن تدعوني .. (مُنتصِر)!!

◆◆◆◆◆◆◆ ((2)) ◆◆◆◆◆◆◆

يعطيني (بروس) رداءً فضي اللُّون، قطعةً واحدة كالَّذي يرتديه، وخوذةً غريبةً تُشعُ بالضوء، بها ما يشبه الخزَّان الصغير من الخلف، تحوي أزرارًا مضيئة دقيقة الحجم .. يثَّبتُ على رأسِه خوذةً أخرى مُماثلة .. :-

- هذه الخوذة مع الرداء، تعملان على ثبوتِ غلاف تغير الحجم الكهرومغناطيسي حول جسدك، وإمدادك بجزيئات الهواء المضغوطة، اللَّازمة للتنفس بما يناسب الحجم، كما تحويان هالة كهرومغناطيسية بديلة في حالة التنقل خارج الـ (كورنو) .. الرداء والخوذة .. مضادان للجاذبية والضغط والحرارة .. آمنان تمامًا ..

يساعدني في ارتداء الزِّي، يثبتُ الخوذةَ حول رأسي ويضغطُ زرًّا بها .. أستقرُ إلى جوار (بروس) .. تُحكم أجهزة الأمان تثبيتي في المقعد، أتطلعُ لكل تلك الأجهزة الغريبة المعقدة، شاشات هولوجرامية

مجسمة، أزرار مضيئة بأضواءٍ فوسفوريةٍ ساطعةٍ، غير مألوفةٍ. كلُّ ما حولي حتَّى المقعد والأرضية والجُدران .. صُنعت من معادن ومواد غريبة الشكل والملمس .. مُبهرة الألوان.

يضغطُ زرًّا فوسفوريًّا ؛ يُغلَّقُ الباب .. وينشأُ من أعلى المقصورة غلافٌ مشعٌّ .. يحيطُ بنا ويتخللُ أجسادنا .. هالة من الضوء .. تتخذُ شكل الجسم، وتوازى منحنياته .. كأننا داخلُ ماسةٍ مشعةٍ .. تندمجُ أشعتُها السحرية بذراتِ خلايانا .. تبعثُ شعورًا غريبًا بالراحة والدفء .. يجتاحُ الأوصال!!

شاشةٌ كبيرةٌ مجسمةٌ أمامنا، تُظهر صورةً واضحةً، بكلِّ التَّفاصيلِ، للنيل، والكورنيش والمنطقة النَّائية، رغم أن الليلة حالكة السواد، حتَّى سيجارتي الملقاة على الأرض واضحة دقيقة .. إنَّها حتَّى .. لا تزالُ مشتعلة ..

يراني (بروس) أتطلعُ إلى السيجارة، يضغط الأزرار سريعًا في مهارة -:

- ما رأيك برحلةٍ داخل سيجارتك المشتعلة؟؟!! ..

أنظرُ إليه أعقدُ حاجبي في دهشة .. لا ينتظرُ جوابًا .. يُداعبُ الأجهزة سريعًا في براعة ؛ فيرتفع الـ (كورنو) نحو السماء .. يبتعدُ عن الأرض في سرعةٍ رهيبة .. يُحدد (بروس) على الشاشة، مُربَّعًا حول

السيجارة الَّتى تبدو كنقطةٍ دقيقة من هذا الارتفاع الشاهق، يَرمُقني مبتسمًا، تنقرُ سبابته المربع فوق الشاشة ..

يرتفعُ (الكورنو) فجأةً يخترقُ السحُبَ .. كأنه انتقل في لمح البصر خارج الغلاف الجوي .. ثُمَّ ينقضُ على السيجارة، ينكمشُ في الحجم بسرعةٍ هائلة .. أنا و(بروس) أيضًا .. ننكمش!! .. أشعرُ أن خلاياى تتدغدغ بدفء، تتقلص بلا ألمٍ .. فقط شعور الدغدغة .. لا أصدقُ .. هل أصغرُ في الحجم بتلك السهولة؟! .. إنني أتقلصُ وأنكمشُ .. كأليس في بلادِ العجائب .. عندما اقتحمت جُحرَ الأرانب!!

السيجارة على الشاشة تكبرُ بصورةٍ خارقة، أصبحتُ لا أُميزُ تفاصيلَها، الهدف على الشاشة : عند آخر السيجارة قبل الفلتر .. أرى حرف M أحمر، يتضاخم في الحجم .. والـ (كورنو) يواصلُ رحلته الخرافية صوب الحرف المطبوع .. حجبتُ وجهي بيدي أتوقعُ الارتطام ؛ لكننا نخترقُ الفراغَ الشاسع بين ذراتِ الحرفِ الَّتي أصبحت حمراءَ مُضيئةً .. متباعدة ..

نسبحُ وسط الفراغ، يستمرُ الـ (كورنو) بالإنكماش ؛ حتَّى أصبحت الذرَّاتِ عظيمة الحجم، يتوجه (بروس) نحو إحدى الذَّرَّات، تبدو الذَّرَّة الآن كمجموعةٍ شمسية!! ..

تدورُ الإلكترونات بسرعةٍ رهيبةٍ، حول النَّواة المشعة بالضوء الأحمر، تتناقصُ سرعة الإلكترونات تدريجيًّا، يتعاظمُ حجمها، حتَّى بدت ككواكبٍ عملاقة .. تدورُ ببطءٍ حول شمسٍ هائلة الحجم ..

تُشرقُ بضوءٍ أحمر.. يتوجهُ (بروس) نحو كوكبٍ .. أو إلكترون!! .. حقًّا لا أعلم!! .. يلاحظُ حيرتي :-

- هذا هو أصغر حجم يُمكن للـ (كورنو) الوصول إليه .. لو أمضينا هنا شهرًا كاملًا .. سيمُرَ بوقتِ البشر حوالي 35 ثانية فقط .. الزمنُ نسبيٌ كالحجمِ .. يدورُ الإلكترون حول النواةِ بسرعةٍ رهيبة .. يعجزُ علمُكم حتى الآن عن تحديد مكان الإلكترون وسرعته في نفس اللَّحظة .. ويختفي الإلكترون أحيانًا من أجهزة الرصد .. لسرعته الرهيبة .. ومع ذلك لا تشعر الآن بحركته الفائقة قط .. لأننا أصبحنا جسيمات متناهية في الصغر.. هانحن نهبط على سطح الإلكترون .. أُنظر.. يُحيطُه غلافٌ غازيٌ .. وسحبٌ دخانية ..

يالها من رحلةٍ خلَّابة، كمركبةِ فضاءٍ تخترقُ غلافًا جويًا لكوكبٍ غريب .. وتمضي عبر سُحُبِه في طريقها للسطح ..

هل حقًّا أُسافرُ الآن .. داخلَ سيجارةٍ مشتعلةٍ .. مُلقاة على شاطئِ النيل .. بمصر؟!.. أما زلتُ بكوكبِ الأرض في الأصل؟! أم أزورُ مجموعةً شمسيةً مجاورة .. !! ..

أُتابعُ الشاشة أمامي بصمتٍ مهيبٍ .. أتأملُ سطح الإلكترون لم يكن أملسًا كما توقعت .. تضاريسه مجعدة غير منتظمة، وهناك من بعيد كُتلٌ عظيمةُ الحجم كالجبال الصخرية، بينها أراضٍ كالوديانِ، يهبط الـ (كورنو) على السطح في منطقةٍ شبه ممهدة.

يضغطُ (بروس) أحد الأزرار الدقيقة بقاعدة خوذتي ؛ تُحيطُني هالةُ ضوءٍ فوسفوريةٍ أخرى .. يضغطُ زر خوذته فتظهر حوله نفس الهالة .. يشيرُ إليَّ لأتبعه .. ينقرُ شاشةً مجسمة ؛ يُفتح باب الـ (كورنو) .. تنطلقُ حوله أدخنةٌ غازية كثيفة .. هل سأخطو فوق سطحِ إلكترون؟! .. أنظرُ لقدمي تطأُ أرضه .. تتملكني الرهبة!! ..

تنقشعُ الأدخنةُ بأضواءٍ أرجوانية خلابة، تتداخلُ في أفقِ الإلكترون كقوسِ قزح، ثلاثُ شموسٍ حمراء : شمسٌ ساطعةٌ هائلةُ الحجمِ، تبدو أضعاف حجم شمسنا، هي بالتأكيد النَّواة الَّتي يتبعها هذا الإلكترون. وشمسان صغيرتان متباعدتان، تغرُبان في أفقٍ لانهائي، الأرضُ صلبةٌ متعرجة ذات لون فضي قاتم، أتطلعُ لصديقي ذاهلًا .. يبتسم :-

- أعتادُ هذا!! .. زُرتُ مئات الإلكتروناتِ من قبل ..

يقتربُ، يُحركُ ما يُشبهُ عدسةً بخوذتي، تدور حول محورها وتستقرُ أمام عينيَّ، أرى عبرها صورةً مكبرةً واضحة، أسمعُ صوتَ (بروس) ينطلقُ عبر خوذتي :-

- دقق النظر في السطح جيّدًا .. اقتربْ منه ..

مسلوب الإرادة .. أهبطُ على يدي وركبتي، أقتربُ من سطح الإلكترون حتَّى تلامسه أنفي .. أنظر خلال العدسة المكبرة، إلى تلك

التفاصيل الدقيقة. جبال ووديانٌ فضيةٌ بالغة الصغر، تفتقد الصورة الأنهار فقط .. ليصبح منظرًا طبيعيًّا مُذهلًا ..

أُمعِن النظرَ أكثر .. ينحدرُ شئٌ دقيقُ الحجمِ يهبطُ من نتوءٍ أرضيٍ مرتفعٍ كالتَّلِ .. كائنٌ حيٌّ!! .. لا أميزُ ملامحه بدقة، يبدو كدودةٍ أرضيةٍ قصيرة، تهربُ في ذُعرٍ، تفرُ من هالتي المشعة .. رُبَّما لم يعكر صفو حياتها مراقبٌ من قبل!! ..

ما تلك الحياة؟! .. أبدو الآن للزميلِ الدودي الحي، ككائنٍ رهيبٍ عملاق .. تُرى كيف لو تجليتُ إليه بحجمي الحقيقي؟! بالتأكيد لن يُدركني .. لن يراني في الأساس!!

يقفزُ إلى ذهني فجأة : كلُّ هذا الكون من حولي، بداخل السيجارة على شاطئ النيل، أشعلتُها بنفسي منذ قليل، ولا تزالُ مشتعلة!! ..

قد يصل الاحتراق إلى هذه المنطقة، قُرب الفلتر، بعد خمسة أو ستة شهور بمقاييس هذا العالم الدقيق الغريبة!! ؛ فيفنى هذا الكون بأكمله .. يتدمرُ محترقًا بكلِّ شموسه وكائناته!! ..

أُودِّعُ ببصري كائنَ الإلكترون، الَّذي لا يعرفُ أن نهاية عالمه في الطريقِ .. على الأمد البعيد!! .. أتمنى لو تنجو تلك الذَّرَّة من الاحتراق.

أنتبهُ حين يجلس (بروس) إلى جواري على أرضِ الإلكترون .. لا أُخفِ انفعالي .. أعتدلُ جالسًا .. يمتلئُ صوتي بالإثارة :-

- إلى أين رحلتنا القادمة؟؟

- إلى أبعد مما تتصور .. خارج حدود الكونِ الَّذي تعرفه!!

اقتربُ ناظرًا في عينيه مباشرةً .. تترجاهُ الحيرة بنظراتي :-

- أُريدُ بعض الإجابات!! ..

يستريحُ رفيقي في جلسته :-

- بكل سرور!! ....

◆◆◆◆◆◆◆ ((3)) ◆◆◆◆◆◆◆

- ولدتُ في قريةٍ صغيرةٍ بإنجلترا عام 1505 م، عشتُ حياةً بدائيةً كأي شابٍ أوروبي، يعيشُ في زمنٍ، لم يعرف حتَّى الكهرباء بعد!!، ماتت أمي وكنتُ طفلًا .. وعملتُ حدادًا مع والدي في البداية .. ثم خالطتُ الرسامين بعدها وعشقتُ الفن، اشتغلتُ برسمِ اللوحات .. لم أكن أعرفُ كثيرًا عن قواعد العلم أو الرياضيات، لم يكُن علماء عصري حتَّى يعرفون الكثير!! .. (يبتسمُ) .. الآن أعلمُ أن سطح هذا الإلكترون ليس صلبًا كما يبدو ؛ بل هو أوتار من الطاقة المهتزة فائقة التردد، وأعلمُ أن الطاقة أصل كل الجسيمات، ولا وجود للمادة، كما أعرفُ مالا يعرفه علماءُ الأرضِ عن نشوءِ الأكوان وكائناتها!!.

أفتحُ فمي ذاهلًا ؛ أتعجبُ ما يقول!! .. يبتسمُ :-

- مات أبي، كان عمري وقتها 21 عامًا .. أتذكرُها كالأمس القريب، خرجتُ بعد الجنازة ليلًا .. أتسكعُ بالحقول وأتأملُ النجوم، وقد ثارت أشجاني ففارقني النوم، وتملكني الحزن. لا أرى في الحقول والأشجارِ ليلًا إلا جمالًا إلهيًا، يُشعُ تحت ضوء القمر المسحور .. فيبعثُ الطُمأنينة في النفوس ..

فجأة، يحجبُ أشعةَ القمر جسمًا براقًا، يبدو عملاقًا ذو ضوءٍ مُبهرٍ، ينكمشُ في سرعةٍ حتَّى يستقرُ على الأرضِ، لم أواجه الموقف بهدوءٍ كما واجهته إنت، أُحييك بالمناسبة. أمَّا أنا، هرولتُ أجري فزعًا وخوفًا، عفريتٌ معدنيٌ عملاق، يَشتعلُ بالنار، هبط توًا من جحيم السماء ؛ بل ويخرج من جوفِ النارِ شيطانٌ يرتدي النور الفضي وتُحيطُه الأدخنة ؛ بل .. ويطاردني في إصرار.

يضحكُ بروس حتَّى تدمعُ عيناه :-

- كم كنتُ أحمقًا!! .. في النهاية حين اقتربَ مني الشيطان، وشارفَ على اللحاق بي، وقعتُ أنا على الأرض غائبًا عن الوعي.

يقفُ (بروس) يضحكُ مرةً أخرى، لا زلتُ أجلسُ على سطح الإلكترون، أتطلعُ إلى الشمس الكبيرة وقد توسطت السماء ذات الألوان الأرجوانية المتألقة، إحدى الشمسين الصغيرتين قد غربت، والأخرى على وشك الغروب بعيدًا، ياله من عالمٍ غريب، ألتفتُ لـ (بروس) أتنهدُ في صبرٍ :-

- ومن يكون هذا الشيطان؟! .. ومن صنع (الكورنو)؟! وكيف تحيا لأكثر من خمسمائة عام وتبقى شابًا؟!.

- لا تقلقْ، عندي كل الإجابات ..

قالها بصوتٍ منخفضٍ، ثم رفع صوته :-

- والآن، هل إنت مستعد لرحلةٍ خارج حدود الكون؟!

أتعجبُ ثاغرًا فمي في بلاهةٍ .. ثم أتنهدُ زافرًا باستسلامٍ .. أقفُ بكلِّ حماسٍ ؛ أنفضُ ترابًا وهميًّا عن ردائي الفضِّي :-

- هيا يا عزيزى (بروس) .. لا أطيقُ الانتظار!!

أتأملُ أرجاءَ عالم الإلكترون .. الشاسعة .. أُودِّعُها بعينيَّ.

◆◆◆◆◆◆◆ ((4)) ◆◆◆◆◆◆◆

تُثبتُ أجهزة الأمان جسدي بالمقعد في رفقٍ، يحيطُنا الغلاف الكهرومغناطيسي بمقصورةِ التحكم، الـ (كورنو) على وشكِ الإقلاع، يُحددُ (بروس) الوجهة على الشاشة ثلاثية الأبعاد، ينقُر بإصبعه ؛ فننطلقُ في سرعةٍ رهيبة ..

أُحدِّقُ في الإلكترون يبتعدُ بسرعةٍ خارقةٍ، أراه كاملًا كالكوكب يدور ببطء حول النواة المشعة، وعلى مدى البصر، شموس حمراء

عديدة متناثرة، تبعث أشعتها من بعيد، وتضئ الفراغ حالك السواد، بضوءٍ أحمر خافت ..

سرعة دوران الإلكترون تتزايد، أصبح يدورُ في سرعةٍ فائقةٍ حول النواة، حجمه يستمر في الصغر، أكاد لا أراه لفرطِ سرعته، نبتعد عنه ويتعاظمُ حجمنا، تظهر ذرات حمراء متباعدة، تتقاربُ في سرعة، نخترقُ حرف الـ M ونصبح خارج السيجارة، سرعتنا رهيبة للغاية، نبتعدُ عن السيجارة التي تواصلُ اشتعالها ببطءٍ نحو الفلتر، تذكرتُ كائنَ الإلكترون، ستنتهي حياته فجأة في أية لحظة!!.

تُظهر الشاشة السيجارة تتضاءلُ في الحجم حتَّى تختفي تمامًا، نهر النيل يبتعد حتَّى يصبح خطًا رفيعًا، تبتعدُ تضاريس الأرض حتَّى تضيعَ معالمها، نخترقُ السحب والغلاف الجوى للكرة الأرضية نحو الفضاء.

كوكب الأرض يبدو ككُرةٍ زرقاء متألقة، تعكس أشعةَ الشمسِ البعيدة، يتضاءلُ في الحجمِ سريعًا، يظهر المريخُ الأحمر، المشترى بحجمه العملاق، زُحل بأقماره وحلقاته العديدة، أورانوس ونبتون ذو السطح الجليدي، يبدو بلوتو ضئيلًا، منعزلًا، تدورُ نيازكٌ مختلفة الأحجام في فلكها، تسبحُ الكواكبُ ككُراتٍ صغيرة في الفضاء من بعيد، تدور في مهابةٍ وبُطءٍ حول الشمس، أرى الآن المجموعة الشمسية كاملة تتوسط الشاشة، بكلِّ كواكبها، أرى الأرض تقطعُ مسافةً ملحوظةً في مدارها، رُبَّما مرّ عليها أسبوعان

مثلًا أو يزيد، أيُعقل أن يمضي أمام عيني في لحظاتٍ، أسبوعان كاملان على كل البشر قاطني الكرة الأرضية ..؟!.

يبتسمُ (بروس)، يراقبني أحدقُ في الشاشة، يتركني أستمتعُ بالتأمل مذهولًا، وينشغلُ في التحكمِ بأجهزة الـ (كورنو) في براعةٍ وسرعة.

تبتعدُ المجموعة الشمسية، تتقلصُ في الحجم، تظهر في الفضاء ملايين المجموعات الشمسية، بل مليارات، تنتشرُ في الفراغ، أينما وجهتُ نظري أرى مجموعاتٍ شمسيةٍ متباعدةٍ، تتفاوت أشكالها وأحجامها .. تتقلصُ وما زلنا نكبرُ بالحجم ..

الحجم؟! .. كيف لم أنتبه لذلك؟! .. منذُ غادرنا الإلكترون وأنا أتضخمُ في الحجم، أنساني روعةُ ما أراه الإحساس بدغدغة أوصالي، بدأت خلاياي تؤلمني، وأشعر بصعوبة وضيق في التنفس، مع هذا المعدل في التضخم .. لابدَّ أنني أكبرُ من المجموعةِ الشمسيةِ، كيف أفوقُ الشمس حجمًا؟!.

أقرصُ يدي عبر الرداء الرقيق أتأكدُ من يقظتي ؛ إنَّ ما أراه هو غاية الروعة، سحاباتٌ هائلة من ذرات التراب والغازات في شتَّى الأنحاء، المجموعات الشمسية تبتعدُ حتَّى تصبح مجرد نقاط صغيرة تملأُ الفراغ، بلايين النقاط الصغيرة، تتخذُ جميعًا شكلًا حلزونيًّا يدورُ حول مركزه، إنها المجرة، لا أصدق، ننطلقُ خارجين من حافةِ مجرة (درب التبانة) صوب الفضاء المهيب خارجها ..

لم أتخيلُ الفراغَ شاسعًا إلى هذا الحد، عدد لانهائي من المجموعات الشمسية والسُدُم والكواكب لا تكفي لملأ الفراغ!! أنظرُ إلى (بروس) حائرًا، هل تحوي باقي قصته حقًّا كل الإجابات؟! :-

- من كان الشيطان الَّذي هبط عليك بالـ (كورنو)؟!.

◆◆◆◆◆◆ ((5)) ◆◆◆◆◆◆

فقدتُ الوعي وسقطتُ على الأرضِ وسط الحقول، أستيقظُ وقد تشوشَ فكري ؛ أتفاجأُ بوجودي داخل كُرة النار، مُقيَّدًا على نفس المقعد الَّذي تجلسُ أنت عليه، والشيطانُ إلى جواري، يتحكمُ بالأجهزة السحرية، كائنٌ طويلٌ نحيفٌ، غريبُ الشكلِ، يشبه تكوينُه الخارجي تكوين البشر، بشرتُه بيضاءَ ناصعة، له ثلاثةُ أعينٍ تظهر عبر الخوذة المضيئة الشفافة، عينان تتوسطان وجهَه النحيف، وعينٌ ثالثة بمؤخرةِ رأسه، لا يوجد أنفٌ!! .. علمتُ بعدها أنَّ تلك الكائنات تمتصُّ الغازاتِ عن طريقِ مسام الجلدِ .. أطلقتُ عليهم اسم الـ (هولي صول) .. بديلًا للفظٍ غريب النطقِ بلُغتهم، أفواههم واسعة تتوسطُ أسفل الوجه، آذانهم مسحوبةً كالثعالب، صُلع الرؤوس، وغالبًا لاينبتُ بأجسامهم شعرٌ على الإطلاق، أيديهم وأرجلهم بثماني أصابع لكل طرف، وينظرُ الشيطانُ على مقعد القائد إليَّ كأنه يبتسم.

كلُّ ما يحيطني في هذا المكان المُبهر العجيب، سحرٌ عظيم من صُنعِ عفاريت الجان، ويجلسُ زعيمهم شخصيًّا إلى جواري!!

انتبهتُ وقتها أتفحصُ الخوذةَ البراقة والزي الفضِّي لا أدري كيف ارتديتهما؟! .. تُدهشُني هالة الضوء بالمقصورة تحيطُ جسدي وجسده، أشعرُ بالدفء يتخلل كياني، أكادُ أغيبُ عن الوعي هلعًا، للمرة الثانية، أتمالكُ نفسي مرعوبًا، يطمئنني قليلًا هدوء الشيطان، وشبح الابتسامة التى أراها ترتسمُ على وجهه غريب التكوين.

سُرعان ما شعرتُ بالرهبة حين تحدث إليَّ بلغةٍ غريبة، وتولَّى مترجمًا إلكترونيًا بخوذتي، ترجمة حديث الكائن للإنجليزية، ارتبكتُ أولًا حين سمعتُ الصوت الإلكتروني، لا أعرفُ مصدره، ثم بدأتُ في الإنصاتِ والتركيز.

هو كائنٌ متطورٌ من حضارةٍ فضائيةٍ، تسبق البشر في الرُّقي والتَّقدم بآلاف الأعوام، عالمهم يبعدُ كثيرًا عن كوننا، يراقبون كوكب الأرض منذ قرون، لاحظوا سُرعة رُقي البشر وتطورهم، فقرروا أخيرًا، أن يدرسوا أحدهم - مثلي - عن كثب ..

كنتُ أنا فأر التجارب، وكنتُ مُرحِبًا بكل ما يحدثُ في وجلٍ، أزدادُ علمًا، بما لم يحظ به بشرٌ من قبل، فتحوَّل جهلي المُطبق لمعرفةٍ جمة ورُقيٍ ذهني.

طريقةُ اكتساب العلم عند الـ (هولي صول) سريعةٌ إلى حد الخيال، اخترعوا بعد فحصي في وقتٍ وجيزٍ، جهازًا ينقلُ لعقول البشر آخر ما توصلت إليه علومهم فائقة التطور، كما يستطيع الجهاز نقل لغتهم الغريبة، تنحفرُ أصولُها بدقةٍ في العقل، فتفهمها وتتحدثها بطلاقةٍ كأنك أحدهم، في دقائقٍ معدودة!!.

ينطقُ (بروس) كلماتٍ غير مفهومة بلغةٍ مبهمةٍ وأصواتٍ غريبة، أتعجبُ كيف تستطيع حنجرته البشرية إصدارها في الأساس!!

- تلك لغتهم، بالطبع أبهرتني التكنولوجيا المتطورة، حتَّى أصبحتُ مسحورًا بهذا العالم الأسطوري الغريب، تأقلمتُ مع حياة الـ (هولي صول) في وقتٍ قياسي، كنتُ أتساءلُ دائمًا، هل سيعيدونى إلى كوكب الأرض؟؟ أم يتركوني أحْيَا بينهم، في هذا العالم المشع بالنور؟!.

جاءت الإجابةُ حين كلفوني بمراقبة تطور علم سكان الأرض عن بُعد، من عالمهم، وتركوا تحت تصرفي هذا الـ (كورنو)، حتَّى أتمكنُ من زيارة الأرض، أو أي كوكبٍ، أو جسيم دون الذري، بين الحين والآخر .. إنْ لزم الأمر.

أراقبُ الأرض منذ 12 عامًا تقريبًا بمقاييس عالم الـ (هولي صول) مضت على الأرضِ كنحو 500 عام بمقاييس البشر؟؟ وعُمري لم يتجاوز بعد الـ 33 عامًا!!.

كل تلك السنوات في عالم الـ (هولي صول)، لم أحتكُ بالبشر قط، أراقبُ وأُسجلُ، كل الخطوات الَّتي يحققها البشر من إنجازٍ وتطور، مُشاهد من بعيد عبر الكاميرات الدقيقة، لا أتدخلُ قط، ولا يحقّ لي التدخل في الأساس!!

- لماذا إذًا تواصلت معي؟! .. لقد رأيتنى بالطبع على شاطئ النيل، قبل هبوطك، لماذا إذًا هبطت وتحدثت معي؟! ..

- يمكنك أن تسميه القدر، هل تؤمنُ بالقدر؟؟!!.

أجيبُه بإيماءةٍ من رأسي، أعودُ أتأملُ الشاشة المجسمة أمامي : تبتعدُ مجرة (درب التبانة)، تظهرُ مجراتٍ أخرى تتخذُ أشكالًا خلابة، هذه مجرة على شكل ساقية تدورُ حول نفسها في جلالٍ، أخرى على شكل طائرٍ بأربعِ أجنحة، وتلك كوردةٍ تتفتح، سُدُمٌ كونية تنبضُ بالنور كالكثبان البراقة، تتخذ أشكالا عشوائية رائعة الجمال ..

إنها بليونات المجرات، تتخذ مليارات الأشكال، وتتشابه فقط في تكوينها من الشموس والكواكب والأقمار والكويكبات والنيازك، المتناهيةِ في الصغر ..

تسارعت دقات قلبي أُحدِّقُ بالشاشة، في انبهارٍ وذهول، مجرات متناثرة في كل مكان، كُلَّما ابتعدنا يتصاغرُ حجمها ..

تتخذُ كلُّ المجراتِ معًا في الفراغ شكلًا متعددَ الأسطح، كالبلورة، ثم يظهر حدود بلورةٍ أخرى، فأخرى، تمتلئُ الشاشة بالبلورات،

ياللروعة، بلورات عدة مشعة بالضوء، في شتَّى الاتجاهات، عدد لانهائي من البلورات، تتكونُ كل واحدة منها من بليونات المجرات .. والبشرُ هناك فوق ذرةٍ في الأعماق، متناهون في الصغر والضآلة، يتخيلون أنفسهم محور الكون واهمين!! ..

كأن البشرية (لاشئ أقربُ إلى العدم).. في هذا الكون اللانهائي الهائل!!.

ينتفضُ قلبي نابضًا في عنفٍ، أكتمُ أنفاسي، تلك البلُّورات المتناثرة تبتعد وتصغر، حتَّى تندمجُ وتتخذُ شكلًا غير منتظم، مُجسم، ذو جوانب مستوية عديدة، مصقولة ومتألقة، كالماسة، لابدَّ أنها حدودَ الكون!! .. تتباطئُ سُرعة الـ (كورنو) ..

(ويخلقُ مالا تعلمون) .. سبحان الله، خالقُ كل الأكوان .. تُسبِحُ له .. سابحةً في ملكوته .. وتسجدُ له .. تتمرغُ في قدسيته ..

أمام عينيَّ يظهرُ حجم الشكل الماسي - حدود الكون - مهولًا في البداية، ثم يبتعدُ ويصغر في الحجم، أو الأصح : نكبرُ نحنُ في الحجم، مجسمٌ متعدد المستويات البراقة، يشعُ في الظلام الكوني، بأضواءٍ فوسفوريةٍ خلابة، تمامًا كماسةٍ متألقة، تدورُ حول نفسها في بطءٍ ومهابةٍ.. وسط الفراغ الشاسع.

تذكرتُ كوكب الأرض، إنه بالتأكيد .. أحد إلكترونات تلك الماسة البراقة، ليس إلا!! ..

تصغُر الماسة في الحجمِ، تُبطئُ سرعتنا أكثر حتَّى يتوقف الـ(كورنو) تمامًا عن الحركة، يحطُ في مكانٍ ما .. وسط الفراغ.

يبلغُ مني الانفعالُ مبلغه، ألهثُ وأتصببُ عرقًا يتبخرُ داخل الخوذة ويتلاشى .. أتأملُ الماسة وسط الظلام المهيب .. حالكُ السواد إلا من ضوءها الأخاذ .. إنها في حجمِ ثمرة تفاح!!.

يبتسمُ (بروس).. يفتحُ باب (الكورنو) ؛ تنطلقُ الأبخرة :-

- أهلًا بك .. في عالم الـ (هولي صول) المتطور!! ..

◆◆◆◆◆◆◆ ((6)) ◆◆◆◆◆◆◆

أُحدِّقُ فيما حولي ؛ تملأُ الدهشةُ أعماقي .. غرفةٌ ذات سبعة جدران، صُنعت من معدنٍ مصقولٍ، غريب الشكل واللون، الماسة تتوسط الغرفة تمامًا، مشعة بضوءها الفوسفوري الأخاذ، تدور حول نفسها في فراغ الغرفة، في تأنٍ وقور، ومهابةٍ مقدسة ..

يوجد مئات الأجهزة المعقدة، والشاشات المجسمة ثلاثية الأبعاد، تغطي جدران الغرفة السبعة، من الأرض للسقف.

تساءلتُ : كيف يكون كوننا سابحًا في فراغ غرفة؟! .. وماذا يوجد خارج هذه الغرفة؟! مئات الأشعة الرفيعة من اللِّيزر، تخرج من أجهزةٍ تشبهُ الكاميراتَ صغيرة الحجم، تسبحُ في الفراغ. تخترقُ أشعة اللِّيزر الدقيقة الماسة في مواضعٍ شتَّى. تدورُ الكاميرات بدقةٍ تُحاكي دوران الماسة، فتتحرك جميعًا ككتلةٍ واحدة .. كأنها تترابطُ جميعًا بخيوطٍ خفية!!.

أقتربُ من الماسة .. تُصبح أمام عيني تمامًا .. أتأملُها : شفافة كالكريستال، تدورُ حول نفسها، وتعكس الضوء بألوانٍ غريبةٍ خلَّابة، تلك إذن كوننا!! بليونات الكواكب والنجوم .. الأجرام والنيازك والأقمار .. ومليارات المجموعات الشمسية والمجرات .. داخل تلك الماسة الشفافة .. أرى من خلالها الأجهزة على الحائط المقابل .. في وضوحٍ .. أين المجرات إذًا؟؟ أين الأرض والشمس والقمر؟! تُرى .. أين سيجارتي المشتعلة؟!.

تلك الماسة الصغيرة، تعكسُ الألوان البراقة (أبتسمُ ساخرًا كأنها نُكتة) .. هي كوننا!!.

عشتُ داخلها ما مضى من عمري .. دفنتُ أبي بباطن أحد إلكتروناتها .. ودُفن جدودي .. عاشت الديناصورات وانقرضت .. قامت حروب ومذابح .. مليارات البشر عاشوا وماتوا يأملون الخلود .. يخالون تميزهم .. وكأن السماء تُقدِّسُ أسماءهم .. !!.

أُسيطرُ على انفعالي .. أفتعلُ الهدوءَ متمالكًا أنفاسي المتلاحقة .. لا أصدق ما أرى. يتجهُ (بروس) لركنٍ قصيٍ بالحجرة .. يضغطُ عدة أزرار مشعة في تتابع .. يتحدثُ باللغةِ الغريبةِ على الحنجرة البشرية .. ثم يلتفتُ إلي :-

- أخبرتهم في الإدارة بقدومنا .. هُنا معمل أبحاث الحياة والتَّطور .. يحيطُ بالكون منطقة انعدام جاذبية .. أمَّا كل ما تراه حولك من أجهزة .. هو نظام مراقبة دقيق للغاية .. تحت مسئوليتي الخاصة .. هذا النظام لا يُراقب كوكب الأرض فقط ؛ بل يراقب أيضًا مئات الكواكب الأخرى المأهولة بكائناتٍ عاقلة .. وما يقرب من ألفي كوكب آخر .. يحوي ماءً وحياةً بيولوجية في طريقها للتطور .. ولا يقتصرُ الأمر على هذا الكونِ فقط!!.

فتحتُ عينيَّ مذهولًا .. وتدلى فكي السفلي عجبًا ..

- يوجد ما يقرب من الثمانمائة غرفة بالمعمل .. كلَّها مجهزة كتلك الغرفة .. وكلها تراقبُ أكوانًا أخرى .. تحوي آلاف الحضارات العاقلة أيضًا!! ..

أشهقُ شهقةً عميقةً .. لا أصدقُ ما تسمعه أُذنايَّ .. أحاولُ استيعاب هذا الكم من المفاجآت .. يالعظمتك يا رب الأكوان .. يا خالقُ الخلق والملكوت .. ثمانمائة كون!! .. ثُمَّ الكونُ هُنا حيثُ تحيا كائنات الـ (هولي صول) الراقية .. وما خفي كان أعظم!!

- وبصفةٍ مستمرة نكتشفُ أكوانًا جديدة .. فيتم إنشاء غرفةً لمراقبتها .. الغريب أنه لم تصل حضارة بعد في كل تلك الأكوان .. لتطور الـ (هولي صول) العلمي .. لم نكتشفُ بعد في آلاف الكواكب .. كائنات أكثر تطورًا منهم حتَّى الآن.

أطرقتُ مفكرًا : كم يبدو البشر في غايةِ الضآلة وسط هذا الزخم!! .. يخطرُ ببالي سؤالٌ. أُقاطعُ (بروس) في شغفٍ :-

- لِمَ تتكبدُ تلك الكائنات الراقية .. تكاليف وعناء مراقبة الحياة بالأكوانِ المختلفة؟؟ ما الفائدة التى ستعود عليهم؟؟.

يبتسمُ (بروس) .. يضعُ يده على كتفي كصديقٍ حميم :-

- كل تلك الحضارات العاقلة المراقَبَة في تطورٍ سريع، ألم أخبرُك من قبل أن 500 عام أرضى، تقريبًا بمثابةِ 12 عام تقضيها هنا؟! .. على هذا المنوال في خلال مائة أو مائتين عام ورُبَّما أقل .. ستصلُ

إحدى الحضارات لمرحلةٍ من التطور .. تفوقُ بكثير تطور حضارة الـ (هولي صول) .. ويثبُ علمُهم نحو الرقي .. في قفزاتٍ سريعة .. ساعتها ستجني المراقبة ثمارَها حيثُ ننسخُ كل الاختراعات الأحدث .. كما أننا سندرسُ خلاصةَ تطور عقولهم العلمي .. النَّظريات والأبحاث والاكتشافات وغيرها .. ببساطةٍ : نراقبُ تطورهم .. حتَّى نحظَى بما تُنتجهُ العقول فائقة التطور .. بعد آلاف السنين من الرُّقي تمضي سريعًا بمقاييس الكون هنا.

- تتحدثُ كأحدِ الـ (هولي صول) يا (بروس) ..

يبتسمُ لمداعبتي .. يجتاحُ الفضولُ كلَّ خليةٍ من خلايا جسدي ذو الحجم المتضخم :-

- ألن نخرج من هذه الغرفة؟؟ .. أريدُ أن أرى الكائنات الراقية .. لا أطيقُ صبرًا على مشاهدةِ معالمَ هذا الكون الراقي ..

لا يزالُ غلاف الطاقة يحيطُ أجسادنا .. وكلانا يرتدي خوذة التحكم بالغلاف وإمدادُ بالهواء ..

- ومتى نخلع تلك الخوذات؟!.

- لا تتعجلُ الأمور.

يتجهُ سريعًا إلى شاشةٍ مجسمةٍ قُرب الحائط .. يضغطُ زرًّا بها .. تنبعثُ أشعة اللِّيزر من الشاشة تمسحُ وجهه وجسده من أعلى

لأسفل .. تُصدرُ أزيزًا مُتقطعًا ؛ فتتحركُ على إثره كوّةٌ محملة بأجهزتها .. تفتحُ بابًا للخروج .. أوقفني (بروس) أمام الشاشة فمسحتني أشعة الليزر .. تتلصصُ عيناي عبر الكوّة .. يبدو ممرًا .. يتحدثُ إلى الشاشة باللغة المبهمة .. أسمعُ أصواتًا عبر الشاشة تردُ بنفس اللغة .. حديثٍ قصيرٍ .. يُنهيه باقتضاب ويدفعني عبر الباب في رفقٍ :-

- هذا عن الخروجِ إشباعًا لرغباتك الفضولية ..

نخرجُ من الغرفة .. إنه ممرٌ طويلٌ بالفعل .. لا أصلُ ببصري لنهايته .. تُغلَّقُ الكوة خلفنا في سرعة .. يتقدمني (بروس) يسيرُ في هدوءٍ :-

- أمَّا بالنِّسبة للخوذة فلا يمكنك خلعها قط .. إلا على كوكب الأرض .. حيثُ حجمك الحقيقي .. فهي الَّتي تتحكمُ بثبوت الغلاف الكهرومغناطيسي .. ستنهار خلاياك دونها دفعةً واحدة .. تتفككُ إلى ذراتٍ غير جزيئية .. فتتلاشى دون أثر.. اطمئن.. الخوذة يمكنها أن تؤمن لرئتيك الهواء لنهاية حياتك ولا ينفذُ الهواء المضغوط بها .. الغذاء هنا مستخلصٌ صافي من المعادن والفيتامينات تُحقن عبر الرداء كل شهر .. ولن تشعر بالجوعِ أبدًا .. كما أن الغلاف يمُد جسدك ببخار الماء بنسبةٍ دقيقة .. ولن تشعر بالعطش أو الحاجة لإخراج أي بول أو فضلات طعام .. الرداء والخوذة بيئةٌ معقمةٌ حول جسدك من الداخل .. تمتص العرق والإفرازات .. وتُبقي جسمك نظيفًا مدى الحياة ..

على جانبي الممر كوّاتٍ عديدة .. متوازية ومتقابلة .. تضئُ إطاراتها الرفيعة باللون الأصفر .. المكان يغمره ضوء أزرق هادئ .. مريح للأعصاب .. يبعثُ على الاسترخاء والتفكير العميق .. أتعجبُ عدم وجود مصادر إضاءةٍ ظاهرةٍ .. من أين ينبع هذا الضوء المريح؟؟ .. انتبهُ لـ (بروس) :-

- وبالطبع فعالم الـ (هولي صول) لا يحوي أوكسجين .. يحيون بامتصاص غاز (البلوريز) عبر مسام البشرة .. تكوين هذا الغاز الذرّي يعتبر سامًّا للبشر .. كدتُ أموت حين جعلوني أستنشقُ كِمّيَّةً ضئيلةً للغاية .. أثناء التجارب ..

لم أرَ أيًّا من الـ (هولي صول) حتَّى الآن .. شعرتُ بالثِّقل في الحركة .. صُداع مفاجئ يهاجمُ رأسي .. يزولُ سريعًا وتتوهجُ الخوذة ؛ أشعرُ بالنشاط يدبُ بعضلاتي .. تبعتُ (بروس) عبر ممراتٍ أخرى متشابكة .. ألتفتُ حولي أبحثُ عن أحدهم يأتي من هذا الممر أو ذاك .. يقفُ (بروس) أمام إحدى الكوات .. تُفتحُ آليًّا .. ألمحُ ظلًّا يعبر الممر خلفي .. لأ أبالي بـ (بروس).. أركضُ خلف الكائن في الممر .. أرى ظهره .. يفوقني طولًا بنحو متر!! .. أرفعُ رأسي أتفحصُ رأسه الصلعاء .. يراني بعينٍ وحيدة تتوسطُ خلفَ رأسه .. يلتفتُ فأرى عينين واسعتين كاملتي الاستدارة .. يبدو أن تلك الكائنات ترى بتقنية HD 360° !! .. أقفُ مبهوتًا .. وجهه بالفعل ناصع البياض بلا أنف .. فقط فمٌ واسع وعينان كبيرتان .. يبدو جميلًا رغم ذلك!! .. يقولُ شيئًا ما بلغتهم

العجيبة المبهمة .. يبتسمُ هادئًا .. يُشيرُ إلى صديقي خلفي يسأله .. يخبرهُ (بروس) عبر مكبر الصوت بالخوذة أنَّ :-

- سَلاجو نتَايّع علَّا بلاَص مِيا برصوع .. إزز دون إززرا .. سع عجلأون (مُنتصر) ألتوص علغوف إززرا .. ورّمتي لولَّه كزوزا.

كزوجٍ من الديوك الرومي تتحدثُ بلغةِ القرود!! .. يقتربُ مني الـ (هولي صولي) العملاق .. ينحني يربتُ على كتفي مطَمئِنًا .. ثُم يرفعُ يده أمام عيني .. يُحرك أصابعه الثمانية .. يعُدها بيده الأخرى في سرعة .. ثم يدُق فوق خوذتي مرتين علامة الفهم .. يمضي في طريقه يشيحُ بيده .. يُرجحُ غبائي .. يضحكُ (بروس) في جذل.

نخرجُ من المبنى .. أعبرُ الكوَّة في بطءٍ .. أتطلعُ مذهولًا .. مباني معدنية لامعة شاهقة الارتفاع .. هندسية الشكل بأسطحٍ حادة .. تخالها تشقُ السماء .. وبعضها مُعلّق في الفراغ بين السحُب .. الإضاءة أيضًا زرقاء .. ليست هادئة كممرات المعمل .. بل مُبهرة .. شوارعٌ مصقولة السطح فضية اللون .. تعكسُ اللَّون الأزرق المبهر .. كأنّ كل ما حولي .. نُحت بدقةٍ من المعدن .. لا أحد يسيرُ بالشوارع .. آلاف الأشعة المضيئة الممتدة كخيوطِ الليزر .. لا يوجد سيارات أو طائرات أو قطارات .. أين تلك الكائنات الراقية؟!..

- أين هي يا (بروس)؟!.

- الـ (هولي صول) يستخدمون تقنية الانتقال الآني .. تنتقل خلايا الجسم عبر شعاعٍ من الليزر في الزمكان .. بغض النظر عن المسافة الَّتي تقطعها .. تصلُ إلى وجهتها في نفس اللحظة.

رفعتُ عيناي إلى السماء .. ياللعجب .. سماءٌ دخَّانية تمتزجُ بها ألوانٌ شتَّى .. غريبةٌ لا تُميزها عيناي .. لم أرَ ألوانًا مثلها من قبل .. ألوف النجوم الساطعة متفاوتة التألق .. شمسٌ صغيرة الحجم زرقاء اللون تُشعُ بالضوء الساطع .. يكادُ يُعميني فأديرُ بصري .. كُلُّ شيءٍ حولنا يصطبغُ باللونِ الأزرق البراق ..

ألتفتُ لـ (بروس).. أُشيرُ إلى السماء :-

- وماذا هناك في الأعلى؟؟؟!!.

- نحن على سطح كوكب (جونايز) .. يدورُ حول هذا النجم الأزرق القزم (شيزام).. يوجد خمسٌ وثلاثين كوكبًا تدورُ حول نفس النجم في نفس المجموعة النجمية .. العام هنا 120 يومًا .. واليوم ليس كاليوم الأرضي بل أقصر مع مراعاة النسبية!!.

- تؤلفُ بليونات المجموعات النجمية ميموسات "مجرات" والميموسات تؤلف أكواسات .. وهي المجموعة الَّتى تحوي مليارات الميموسات .. وبلايين الأكواسات معًا تؤلف تكنوسات .. ولم يستطع العلماء بعد معرفة المزيد .. لم يتخطَ علمهم بعد حدود التكنوسات

.. يعتقد البعض أنها آخرُ حدودَ الكون .. وأعتقدُ أنَّ هناك مالم نرصده بعد!! ..

- اكتشفوا حضارتين عاقلتين في عمق الكون .. تبعد مليارات السنين الضوئية .. لا يستطيعُ الـ (هولي صول) رغم تطورهم مجرد الاتصال بالحضارتين .. إنها منظومة يا عزيزي .. منظومة هائلة .. لانهائية في الكبر .. ولانهائية في الصغر .. قد يكون كوكب (جونايز) هنا .. مجرد إلكترون في نظامٍ أكبر .. وهذا النظام بدورِه جزءٌ من نظامٍ أكبر .. وهكذا .. وهكذا ..

◆◆◆◆◆◆ ((7)) ◆◆◆◆◆◆

جلستُ، و(بروس) نتأملُ السماءَ الدُّخَّانية .. والنجومُ المتألقة .. يبدو شاردًا يسترجعُ الذكريات :-

- مللتُ المراقبة .. مللتُ تلك الخوذة .. هذا الرداء .. وغلافه الضوئي القابض على الصدر .. كم أشتاقُ لحياةِ الأرض يا صديقي!! .. لقد قررتُ التقاعُد .. وينُصُ قانون معمل أبحاث الحياة والتَّطور الصارم : أن من يتقاعد يأتِ بمن يشغل وظيفة المراقب بديلًا عنهُ .. من جنسه ..

لذا اصطحبتُك منذ البداية .. (يلتفتُ يواجهني) هل تقبل أن تُراقب الحياةَ العاقلة بعدة كواكب بالكون الماسي الَّذي رأيته بالداخل؟! .. إن قبلت .. ستتعلمُ كلَّ شئٍ في مدةٍ قصيرةٍ .. حتَّى اللُّغة والتَّحكم في

الـ (كورنو) .. ثُمَّ تُقلّني لكوكبِ الأرض .. وتعود لتُمارس مهامك الجديدة .. وإن لم تقبل فعليَّ أنا أن أُقلّك إلى كوكب الأرض .. وأبحثُ عن آخر.

لا يتطلبُ الأمر مِني تفكيرًا طويلًا .. يالها من فرصةٍ عظيمةٍ لا أستحقُها!! أراقبُ تطور الأرض .. أرى خمسمائةَ عامٍ على الأقل من المستقبل .. وأحيا هُنا في هذا العالم الساحر .. تداعبُني كائنات الـ (هولي صول) وأتلقى علمهم وتطورهم .. من يستطيعُ رفض تلك الحياة المثيرة؟! .. وافقتُ على الفور.

بدأ (بروس) تعليمي كيفية استخدام الأجهزة المتطورة .. أصبحت حنجرتي تُطلق الأصوات الغريبة في طلاقة. تعلمتُ كيفية التحكم بالـ (كورنو) .. أبهرتني تلك الكاميرات الدقيقة الَّتى يمكنها أن تنقل من الأرض .. رغم كل البعد الرهيب .. وبدقةٍ شديدة : صورةً واضحةً لأسراب النمل يحملون حبات السكر وبقايا أوراق الشجر!! يمكننى أن أرى، بل وأسمع، بمنتهي الدقة .. أي حدثٍ بأي مكانٍ .. على سطح الكواكب المأهولة الَّتي أذهلني أشكال كائناتها الغريبة .. وعندما أتقنتُ التعلم .. آن أوان (بروس) للرحيل .. فأعدته إلى كوكب الأرض .. وودَّعتُ كلاهما في حزنٍ!!.

أتأملُ سطحَ الكون الماسي البرَّاق .. رُبَّما هو السَّماءُ الثانية من سبعِ سماواتٍ .. الأولى سماءُ الأرض .. وهناك السماءُ الثالثة في أفقِ الـ (هولي صول) ؛ حيث تُشرق الشمس الزرقاء. قد تتوارى باقي السماواتِ في غياهب الفضاء ؛ خلفَ حجُبِ الأكوان .. لن نعلمُ عنها

شيئًا .. تحيا بأراضيها المجهولة ؛ كائناتٌ أخرى غريبة .. قد تظنُ أنها فقط ؛ من تنعمُ بالوجود!!

أُحلِّقُ في سماءِ الـ (هولي صول) الدخانية .. عجيبة الألوان .. أتجاوزُ النجم الأزرق والنجوم المتألقة نحو كونٍ جديد. أهبطُ؛ فأخترقُ الكونَّ الماسي المشِّع .. أبحثُ عن شموس الإلكترون الحمراء. يتعثرُ كياني أفكرُ في تلك المنظومة اللانهائية .. يُعيي عقلي الدورانُ حول النجومِ والكواكبِ والمجرات .. يتلاشى جسدي وفكري وغروري ؛ تذوبُ في ظلامِ الأكوان ؛ تسبحُ عدمًا بين السماواتِ والأراضي .. عديدة الكائنات المجهرية الدقيقة .. أمثالُنا نحن البشر .. لا زلنا لا نصدق .. ولم نفهم ونَعي بعد : أنَّنا في الحقيقة .. نحْيَا فوق ذرةٍ غبارٍ .. متناهيةٍ في الصغر .. تنطلقُ عبرَ عدمٍ سرمديٍ شاسعٍ .. أزليٍ أبديٍ .. ((لانهـــائي)).

◆

◆◆◆◆◆◆ تمَّـــت ◆◆◆◆◆◆

عبدالفتاح أمين
12/9/2016

لاَنِهَائِّي

مقـــدمـــــة	07
تقــــديــــم	09
ديجـــافــــو	13
تـَـنـــــُّـــــورة	21
أفــلاطـــــون	29
شيــزوفرينيـــــا	35
درويــــــش	47
كُشـــــــريّ	55
أزمة (شــوشـــة)	61
عازفــة الكمـــان	83
عــرش (الكبيـــر)	91
حُــــريــــة	109
صُـــدفـــــة	115
لانـهـــائـــــي	123

لانهائي

Infinity

الكاتب عبر Mail / Facebook :

abdoooamin@yahoo.com